الملحق الثقافي

ملحق أسبوعي
يصدر كل ثلاثاء
عن جريدة الثورة
العدد 1135
2023/3/7

ملف العدد

الشباب واللغة العربية

كزهر اللوز

يوسف المحمود بين الصحافة والأدب

لغة الضاد في خطر

كرامة اللغة

أول الكلام

اللغة واختناق المعنى

■ ديب علي حسن

الإنسان بغض النظر عن تعريفه أنه كائن اجتماعي، فهو ليس كذلك إلا لأنه كائن لغوي بامتياز فلا مجتمعات دون لغات وتواصل وتفاهم ..من هنا كانت اللغة أهم الإنجازات الإنسانية عبر التاريخ ..

ومن المعروف أن كل أمة تدعي أن لغتها هي الأجمل والأكمل ..بل وصل الأمر أن البعض تحدث أن لغة كذا هي لغة أهل الجنة.

من باب سد هذه الذرائع أو البحث في متاهات أي اللغات الأقدم والأسبق والأكمل اتخذت بعض المؤسسات العلمية قراراً منعت بموجبه البحث في هذا اللون من الأبحاث التي لا تصل إلى حقيقة قاطعة..

ومن باب الاهتمام باللغات كافة كان الاحتفاء بيوم اللغة الأم الذي كان منذ فترة قريبة.وكما هو معروف أن اللغة تنمو وتتطور وتجدد مفرداتها بتجدد متحدثيها، فلا قيمة للغة لا ينجز أبناؤها إبداعاً وعلوماً ومعارف تستدعي توليد مفردات ومصطلحات لغوية تضاف إلى رصيدها ..

لغتنا العربية مع كل فيها ولها من جماليات ابتليت بمرض النحاة وعدوانيتهم على المعاني ..إذ تحولت عند بعض القدماء إلى ألغاز ومماحكات لغوية نفرت محبيها وجعلتهم يذهبون إلى القول: إنها لغة التعقيدات ..الأمر الذي انسحب إلى انقباض المعنى وجفاف الرونق..

وكما يقول الدكتور مصطفى ناصف (نحتاج أن نرى اللغة رؤية متعالية أو شاملة أو واضحة بذاتها ونحتاج في الوقت نفسه إلى حركة اللغة والقيمة والشعور في معتقدات أوسع).

في لغتنا العربية ثمة اعتداءات وظيفية أدت إلى التكلس والجمود واختناق المعنى..وبعد النحو جاءت البلاغة اليابسة التي حولت النصوص إلى ألغاز وزخرفتها بالمحسنات البديعية التي أضاعت المعنى...

ولم تكد تتخلص منها وتعود إلى طبيعتها في هذا العصر..

حتى جاءت إغارات التطور التقني غير المنضبط ممن لا يعرفون ألف باء اللغة.

ناهيك بما يقوم به بعض حراسها كما يدعون (في مجامع اللغة) إذ يعارضون أي تطور لا يقاس على ما كان من أكثر ألف عام..

لغتنا ليست بخير..إنها بين انقباض واختناق واعتداء ونحن نتغنى بها دون فعل أي شيء.

رئيس التحرير
أحمد حمادة
مدير التحرير
معد عيسى
إشراف
ديب علي حسن
الإخـــراج
هدى نصر شمالي

توجه جميع الرسائل
باسم هيئة التحرير
D.hasan09@gmail.com
هاتف ٢١٩٣٢٢٢

إصدار

رواية (في الحرب والسلام)..

صدر عن الهيئة العامة السورية للكتاب رواية « في الحرب والسلام» تأليف ناديا خوست.

تحكي هذه الرواية عن جيل تفتّح في خمسينيات القرن الماضي، متطلعاً إلى العلم والثقافة، عبر أحداث الوحدة والانفصال، وحرب حزيران والعمل الفدائي، وحرب تشرين، واجتياح لبنان، وغزو العراق، وإسقاط الاتحاد السوفييتي، والحرب على لبنان وغزة، ثم هذه الحرب المتنوعة الأشكال. وقد تبيّنت عندما أنجزت تصحيحها الأخير، أن حياتنا جرت وسط صراع كبير مستمر، حتى عندما كانت تبدو هادئة وكان يخيل إلينا أننا ننساب فيها انسياباً.

رواية (في الحرب والسلام)، تأليف: د.ناديا خوست، تقع في ٥٩٨ صفحة من القطع الكبير، صادرة حديثاً عن الهيئة العامة السورية وناديا خوست كاتبة وأديبة سورية ولدت في دمشق عام ١٩٣٥.

حصلت على درجة الدكتوراة في الأدب المقارن من الاتحاد السوفييتي بعد حصولها على بكالوريوس الفلسفة من جامعة دمشق. كانت أطروحتها لرسالة الدكتوراة في الأدب المقارن بعنوان (أدب تشيخوف وأثره على الأدب العربي) تعمل موظفة مسؤولة مع لجنة الحفاظ على المدينة القديمة في دمشق والتي تهدف للمحافظة على طابع التراث المعماري والفني التاريخي في أحياء دمشق وبيوتها القديمة.

من أعمالها الأدبية

أحب الشام، مجموعة قصصية، دمشق ١٩٦٧.
في القلب شيء آخر، مجموعة قصصية، دمشق ١٩٧٩.
كتّاب ومواقف، دراسة أدبية، دمشق ١٩٨٣.
في سجن عكا، مجموعة قصصية، دمشق ١٩٨٤.
الهجرة من الجنة، رواية، دمشق ١٩٨٩.
لا مكان للغريب، رواية، دمشق ١٩٩٠.
دمشق- ذاكرة المكان، سرد أدبي، دمشق ١٩٩٣.

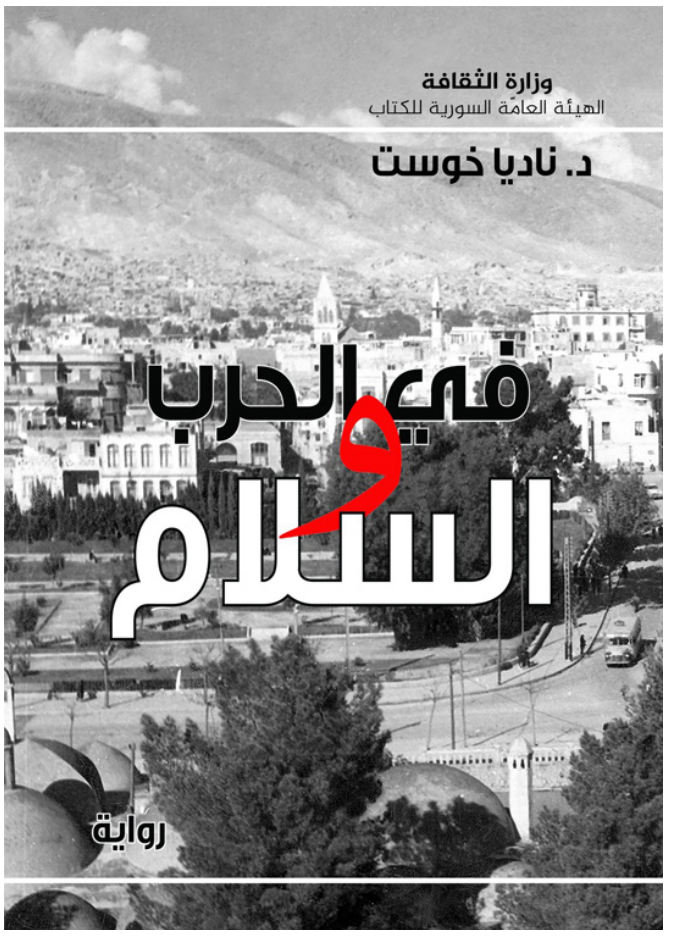

حب في بلاد الشام، رواية، دمشق ١٩٩٥.
مملكة الصمت، رواية، دمشق ١٩٩٧.
أعاصير في بلاد الشام، دمشق ١٩٩٧

التراث السوري بعيون فنانة ألمانية

«لأننا بحاجة للأمل والحب والألوان» .. بتلك الأمنية أطلقت الفنانة الألمانية هايكا فيبر مساء اليوم معرضها لفنون التطريز السورية في غاليري زوايا بدمشق.

جمع المعرض أعمالاً فنية لنحو ٥٠ امرأة يعملن ضمن مشروع «عناة»، وتنوعت بين مشغولات يدوية من الألبسة التراثية المطرزة بقطب فنية يعود أصلها لمناطق متعددة من الجغرافيا السورية وإكسسوارات منزلية وشخصية.

وتضمن المعرض أيضاً لوحاتٍ فنيةٍ مطرزةٍ توثق العادات والتقاليد المجتمعية السائدة بالأرياف، والتي تميزت بالألوان المشرقة ورسومات لمعالم الحياة الواقعية بالقرى السورية.

وأوضحت الفنانة فيبر أنها ركزت على الملابس المطرزة بشكل خاص حفاظاً على هذا النوع الجذاب من التراث السوري ونقله إلى الأجيال.

وبينت أن مشروع «عناة » كان يعمل فيه أكثر من ١٠٠٠ امرأة، وبسبب الحرب تبقى منهم نحو ٥٠ فقط من النساء اللواتي حملهن شغفهن للعمل والإنتاج وتوثيق تراثهم عبر مشغولات يدوية من الطراز الريفي.

وأشارت فيبر إلى أن المعرض يحتوي على الكثير من أنواع القطب والتصاميم منها القطبة البخارية التي اكتسبت بصمة سورية خاصة وميلان نسبة إلى البلد الذي أتت منه وقطبة كروسبيش التي تشتهر بها الكثير من البلاد العربية لافتة إلى أن تلك القطب تحكي قصص وعادات الشعوب.

خصوصية المعرض انبثقت من كونه يتزامن مع عيد الأم، ويقدم ألوان الفرح في فترة ألم يعيشها الشعب السوري بعد كارثة الزلزال، الذي تعرضت له سورية في السادس من شباط الماضي، هذا ما أوضحته مديرة غاليري زوايا رولا سليمان مشيرة إلى أهمية الحفاظ على التراث السوري عبر تلك اللوحات.

والمشغولات اليدوية التي اجتهدت بحياكتها الفنانة الألمانية مع مجموعة من النساء عبر ٣٥ عاماً من العمل الفني.

يذكر أن الفنانة الألمانية هايكا فيبر تعيش في سورية منذ عام ١٩٨٢ حيث استقرت في دمشق القديمة، وافتتحت مشروعها الخاص القائم على تعليم التطريز، وتعمل حالياً على مشروع الحفاظ على التراث السوري وتطويره في هذا المجال كما تمتلك كتاباً خاصاً لتوثيق لغة التطريز في المنطقة.

كتاب العدد
حسب الترتيب الهجائي

أحمد بوبس
حبيب الابراهيم
دلال ابراهيم
سلام الفاضل
عبد الكريم البليخي
علم عبد اللطيف
صالح السودة
مها محفوض محمد
ميساء جرعا
وفاء يونس

لغة الضاد في خطر..؟!

دلال إبراهيم

«ليس المعيب أن تتعلم لغة أجنبية وتتقنها وتتحدث فيها عند الحاجة، ولكن المعيب هو أن تهجر لغتك الأم وتستخدم لغة دخيلة على مجتمعك وثقافتك» ما زالت تلك الكلمات احتفظ فيها بذاكرتي لأستاذ مادة المسرح في الجامعة حين كنت أدرس الأدب الفرنسي. في الوقت الذي كان يشدد علينا بإصرار استخدام اللغة الفرنسية في الحديث معه حتى خارج قاعات التدريس.

منذ البدايات اعتدنا نحن الناطقين باللغة العربية على ازدواجية اللسان، حيث نستخدم لغتين متداخلتين، ما يعرف بالفصحى، واللغة العامية أو المحكية، التي تختلف من بلد عربي إلى آخر. الفصحى نستخدمها للكتابة، والعامية في أحاديثنا. ومنذ فترة شرع أغلب الجيل الناشىء في استخدام العامية في الكتابة، ضاربين عرض الحائط بكل القواعد اللغوية والنحو والصرف، الذي تعلمناه في المدارس و«امتحانات أعرب ما تحته خط، إعراب مفردات وما تحته خطان إعراب جمل». وقد بدأت تعلو للتو أصوات تطالب باعتماد العامية لغة الكتابة والمحادثة، وحتى بدأ صدور روايات باللهجة المحكية، علماً أن الرواية بقيت النوع الأدبي الوحيد المحصن ضد هجوم اللهجات العامية عليه. هذا ناهيك عن إدخال كلمات بلغات أجنبية أخرى. وظهورُ لغةٍ شبابية هجينة بين اللُّغة العربيّة العامية ولغة الشارع وبعض الألفاظ الأجنبية، يتحدثها جيلٌ من الشباب اليوم، وصَل إلى مستوًى من التعليم يفترض فيه أن يكونَ واعيًا لطريقة تعبيره عن نفسه، غيرَ أن هذا الجيلَ الجديد قد وقع في فجوة كبرى من انعدام الانتماء، والذنب ليس ذنبَه فقط؛ فهو جيل محبَط، ويعاني من فقدان الانتماء؛ نظرًا لعدم إيمانه بالقِيَم الموجبة، وبالحضارة العربية، وهي عوامل تجعله يحاول التخلّص من كل رابط يربطه بهذه الحضارة، ولعل من أهم هذه الروابط: اللغة؛ لذلك نجد معظم هؤلاء الشباب «متفرنجاً « يسعى إلى التوحُد بالنسق الغربي الذي يبتغي الهرب إليه. ولكن مع فرض الهيمنة الثقافية نفسها على مجتمعاتنا، والعولمة التي جعلت لغات معينة تسود على البقية، ودور المؤسسات التعليمية هي ما أدت إلى تهميش أهمية تعلم اللغة العربية الأم، وعزوف معظم الشباب العربي عن تعلمها والاهتمام باللغات الأخرى أكثر، وخاصة منها الإنكليزية، نظراً لأنها اللغة المطلوبة في سوق العمل. وبهذا نشأ نوع من الالتباس في علاقة الناطقين بها، وبرزت فئات وطبقات في مجتمعاتنا العربية بعينها تُركزعلى الانتصار لغيرها كنوع فقط من «البرستيج» وتقليد الغرب.هذا إلى جانب طموحات الشباب في الهجرة وقطع أي تواصل لهم مع البلد واللغة الأم نتيجة تردي الأوضاع في أوطانهم من جميع المناحي، أضف إليها واقع الأمة الضعيف الذي عكس حالة ضعفه على اللغة العربية.

ومن الواضح، ومنذ القدم أن اللغة هي انعكاس للقوة، وبالتالي لاعجب أن تسيطر لغة من يمتلك القوة الاقتصادية والسياسية والعسكرية وعصب التجارة ولغة وسائط التواصل الاجتماعي. وفي أوج ازدهار وقوة العرب في عهد الدولة العباسية كان الملك شارلمان يفتخر بأن ولي عهده (ابنه) يجيد اللغة اللاتينية والعربية. وهذه التحديات في تهميش ثقافة ولغة الدول لا تتوقف على العرب وحدهم، وإنما تعاني منها الكثير من الدول، منها فرنسا وإسبانيا اللتان أسستا منظمة الفرانكوفونية لمواجهة سطوة الإنجلوسكسونية، واستعمارها اللغوي. أما الألمان فأصدروا معجماً للغة الشباب الألمان **VollKonkret** الذي أعده هرمن إهمن في عام ٢٠٠١، وكان الكتاب الثالث الذي يصدره المؤلف في إطار معالجته لموضوع تطور لغة الشباب في البيئة الثقافية الألمانية.

ونخلص هنا إلى نتيجة أن تاريخ وثراء وعراقة لغة لا يشفع لها أمام تحديات لم تتخذ ضدها الحكومات متكأً لها لمواجهتها. متمسكين باستبعاد فكرة احتضارها كما يعتقد البعض، معتبرين أنها مؤسسة قائمة بحد ذاتها، ومستشهدين بشهادة الكاتب الألماني غوته، حيث يعتبرها (حية وخالدة) لأنها لغة الخيال الشعري والخطاب المعياري الواقعي. إلا أنهم أغفلوا أن اللغة هي منجز معرفي يتسع بالاستعمال ويذوي تحت ضربات الإهمال. ولا بد من الإشارة هنا على ما سبق أن ما شهدته اللغة العربية وتعايشها سابقاً مع عشرات اللهجات واللغات المحيطة في القرون الوسطى اجتازت امتحان المنافسة على مر التاريخ، وخرجت من هذا الامتحان منتصرة تماماً.

ويبرز لدينا السؤال الجوهري: أيهما أخطر على اللغة العربية؟ هل تمثل تلك اللغة التي يتكلم بها الشباب اليوم، قواعدها غير سليمة، مملوءة بالعامية وبالكلمات والتعابير الأجنبية الجديدة، تهديدا للتراث اللغوي والهوية الثقافية؟ أم هي تطور طبيعي للهجة حيوية في ظل العولمة وانتشار وسائل التواصل الاجتماعي؟ أم عزوف الشباب عن استخدامها واللجوء إلى استخدام لغات أخرى، في جميع تعاملاتهم؟ معللين السبب أنها لغة صعبة ومرهقة في التعلم وغير مثيرة للاهتمام- وفق ما سمعته من العديد من الشباب-

في الواقع يعود السبب في معظمه في عزوف الشباب الناشىء عن تعلم العربية إلى أسلوب التدريس ومواد التعلم التي يرونها بأنها شاقة ولا تتماشى مع هذا العصرالذي ينحو نحو التبسيط في في كل شيء. بحيث تبدو المناهج التعليمية، وخاصة فيما يتعلق باللّغة العربية، مناهجَ موجهة لصناعة جيل كارهٍ للّغة العربية، فتوضع قواعد النحو واللغة -عمدًا أو عن غيرِ عمدٍ- بطريقة معقّدة وتجريدية، فيجد الطالب في تلك القواعد ما يحُول بينه وبين الإقبال على اللغة العربية الفصحى، وهنا يجب أن ندقَّ ناقوس الخطر، وندعوَ كل المهتمين باللغة العربية إلى تبسيط قواعد اللغة وربطها بالحياة اليومية؛ حتى تبقى وظيفية، وتخرجَ من الحيز الضيق الذي حُشرت فيه؛ حيز الامتحان، الذي يُريد أن يجعل منها مجرد مادةَ لغوية لا علاقةَ لها بالواقع الاجتماعي، أو الثقافي، أو الاقتصادي..

أزمتنا مع المخاطر المهددة للغة العربية هي أشبه :بالمد والجزر».ولكن علينا هذه المرة أن نتنازل قليلاً عن طمأناتنا التي لم تعد مجدية في هذا العصر. فنحن أمام تيار قوي علينا إجادة السباحة معه لا السباحة عكسه. وإلا فإننا سوف نغرق وتضيع مفاتيح كنوز ثمينة من يد أجيالنا. فلغة الإنسان هي جزء من هويته وكينونته، وعدم معرفتها قد يحدث خللاً في مفهوم الهوية والانتماء.

الفضاء الأزرق هل لوّث اللّغة العربية..؟!

وفاء يونس

ما الذي يدفع بفتاة أن تشكر صديقتها قائلة:(ثانكس)، وبشاب يحيي زميله بقول:(هااي)، مازجاً بين مفردات أجنبية وعربية، وهو ما سمي (بالعربيزية)، سؤال يفرض نفسه ويبحث عن إجابة.

هدى محمد طالبة جامعية تجيبنا بأن «العربيزية» تلفت الانتباه لمتحدثها وتوحي بأنه شخص راقٍ وذو ثقافة وإنسان متحضر، وتؤيدها في ذلك حياة خالد مشيرة إلى أن «العربيزية» خفيفة وظريفة فضلاً عن سهولة تداولها، وتعتبر بأنها اختصار للوقت والجهد وهي مفهومة في أوساط الشباب وهذا يكفي.

عن ذلك تتحدث الأستاذة لمياء عبدالله مؤكدة انتشار هذه الظاهرة بين أوساط الفتيات ورغم كون لمياء تدرس اللغة الإنجليزية إلا أنها ترفض هذه الظاهرة، وتعتبرها تشويهاً لجمال لغتنا العربية كما أن استعمال كلمات ومفردات إنجليزية في مجتمعاتنا كما تقول (لها أسباب وانعكاسات مختلفة وقد أصبح كنوع من التباهي بمعرفة اللغة الإنجليزية وهي طبقية تتعلق بإظهار الفتاة لطبقة راقية أكثر من انتمائها لطبقة مثقفة وواعية ناهيك عن تأثر الجيل الجديد بالقنوات والفضائيات وما يتداول في هذه التقنيات من مصطلحات أجنبية تشجع على تداول اللغة الإنجليزية أكثر من غيرها).

د. فاطمة الزعبي: «العربيزية» مصطلح جميل يبين قدرة اللغة العربية على الاستجابة لكل متطلبات العصر، وتتمثل ذات الرأي الأستاذة رباب الشيخ قائلة:(انتشرت ظاهرة «العربيزية» كنوع من الاستعراض ولفت الانتباه، إلا أن ما يحزنني هو أن الكثير من الطالبات تكون إنجليزيتها ضعيفة ورغم ذلك تتداول كلمات أجنبية لتثبت تفوقها أمام الأخريات وهي بالكاد تتحدث اللغة الإنجليزية).

ومن جانبها أكدت آمال سعد النور أستاذة في التاريخ والحضارة بأن ظاهرة (العربيزية) جاءت كنتيجة طبيعية لتمازج الحضارات، وتداخلها ودائماً ما تكون اللغة هي أول ما يتأثر بالانفتاح على العالم الخارجي، الذي ينتج تداخلاً في العادات والتقاليد ونجد في بعض الدول العربية كالمغرب العربي أن اللغة العربية تتخللها العديد من المفردات الفرنسية وربما معظم حديثهم يسيطر عليه اللغة الفرنسية، وانتشرت هذه الظاهرة بين الدول العربية الأخرى وأصبح مواطنوها يمزجون الكلمات العربية بأخرى أجنبية نتيجة الغزو الفكري والتقنيات الجديدة مما يؤدي إلى خلق جيل ممسوخ الحضارات، وصاحب لغة ممسوخة.

أمّا فاطمة عبدالفتاح الزعبي دكتوراه في اللغة العربية والأدب القديم فتعتبر أنّ ظاهرة إدخال مفردات أجنبية في الحديث ظاهرة ليست جديدة، وإنما هي شأن يطفو على السطح عندما تعاني الأمة من الضعف، فتراها تتطلع للأمم التي تلعب دوراً قوياً في الحضارة الإنسانية، ولنقل الشعوب المغلوبة على أمرها تتخذ الشعوب الغالبة قدوة في مظاهر حياتها المختلفة، في لغتها وفي لباسها، في طعامها وفي شرابها، وجوانب متعددة من ثقافتها، وتستمر الزعبي في تفسيرها لظاهرة (العربيزية) مؤكدة أن الأمة قد شهدت مثل هذا في مراحل مختلفة من تاريخها، وبشكل خاص في مراحل ضعفها كما أسلفت، وشتان بين ما كان يفعله الشعراء في عصور ازدهار الحضارة العربية الإسلامية واكتساحها للحضارات العالمية آنذاك وبين ما نراه في أيامنا هذه، في ذلك الزمن كان بعض الشعراء (يتملحون) بإدخال بعض المفردات الفارسية مثلاً في أشعارهم، ولكن هذا لم يكن ليلحق ضيماً باللغة العربية، لأنها كانت لغة الحياة والحضارة والعلم والفكر والدين، أما ما شهدته الأمة من إدخال للمفردات الغريبة عن لغتنا في حياتنا اليومية، فهذا ما يحسب له حساب، ويخشى منه على اللغة، عندما كانت البلدان العربية تخضع للسيطرة العثمانية في مرحلة ماضية، كان شائعاً استخدام اللغة التركية في الحديث اليومي، لا بل كان البعض يتباهى بإدخال هذه المفردات في حديثه، وتذكر الزعبي أمثلة لبعض المصطلحات التي ما زالت قيد الاستخدامن وخاصة في بلاد الشام ومصر، مثل كلمات: البازار (السوق) والسوكة (زاوية تقاطع الطرق)، والرتب العسكرية مثل: الشاويش، باش مهندس، وغير ذلك من المفردات، وعندما جاء الاستعمار الحديث الفرنسي منه والإنجليزي، وجدنا أيضاً أن مفردات لغته حلت معه، وأصبحت الطبقات العليا في المجتمع إبان هذا الاحتلال تستخدم ألفاظه في أحاديثها وتتظرف بها، إنها لغة الغالب المسيطر، فشاع استخدام (بونجور) الفرنسية مكان (صباح الخير) العربية، (بونسوار) مكان (مساء الخير) و(أورفوار) مكان (إلى اللقاء) وهكذا، واليوم، تهيمن اللغة الإنجليزية، التي هي لغة معظم الشعوب التي تفوقت تقنياً وعلمياً، وسيطرت بشكل أو بآخر على جوانب متعددة ومختلفة في العالم، وهذا التفوق لا ينكره إلا من يرغب في مغايرة الحقائق، فإن الشعوب المتخلفة الضعيفة - ونحن منها -هي غالباً من تتملح بإدخال مفردات هذه اللغة في كلامها، مما أدى إلى تفشي ما دعوتموه بظاهرة (العربيزية)، وهو مصطلح جميل يبين قدرة اللغة العربية على الاستجابة لكل متطلبات العصر، وعن الوسائل التي يمكن أن تساهم في الحد من ظاهرة (العربيزية) تطالب الزعبي بنشر ثقافة الثقة والاعتزاز بالهوية العربية الإسلامية واللغة العربية وعنوان هويتنا، وكذلك نشر ثقافة التكلم بالفصحى في قاعات التدريس في المستويات الدراسية كافة، واعتماد الفصحى في لغة الإعلام المسموع والمرئي، وكذلك الحد من استخدام اللغة والأسماء الأجنبية في اللوحات الإعلانية لواجهات المحلات والدعايات المختلفة.

هذا ما عبرت عنه آمال سعد النور في مقالها: ظاهرة «العربيزية» جريدة الرياض ٥تموز ٢٠١٠م - العدد١٥٣٥١

كيف نعزّز ثقة شبابنا بلغتهم؟

حبيب الإبراهيم

كثيراً ما يطرح المعلّمون والمدرّسون ومعهم أولياء التلاميذ والطلاب معاناتهم من ضعف الكثير من طلبتنا في اللغة العربية وعزوفهم عن الاهتمام بها وإتقانها حديثاً وكتابة !؟

وبالكاد يخلو مجلس، أو مجالسة، أو اجتماع أولياء من طرح هكذا قضية، وربما يشعرون بعجز واضح ؟!يعرفون الداء، يبحثون عن الدواء والعلاج الناجع.

وفي سياق الطروحات التي لا تنتهي حول هذه الظاهرة يرى البعض أن صعوبة منهاج اللغة العربية وكثافته من أسباب الضعف باللغة العربية ليس على مستوى المدارس فحسب، إنّما يمتد إلى المرحلة الجامعية!؟

وإنّ وجود المعلم المختص في اللغة العربية في مرحلة التعليم الأساسي أحد أهم عوامل اهتمام التلاميذ والطلاب بلفتهم وتلافي الضعف والتقصير فيها.

ويرى البعض أن وسائل التواصل الاجتماعي بمختلف أشكالها ومسمياتها، سحبت البساط من تحت أقدام الشباب ليجدوا أنفسهم وجهاً لوجه مع العامية واللهجات المتعددة، والألفاظ المبتذلة، والإسفاف في تشويه الذائقة الفنية التي تحققها اللغة العربية الفصحى من حيث جمالياتها وغناها اللفظي والمعرفي.؟!

نعم ..لقد تراجع الاهتمام باللغة العربية لفظاً وكتابة مع انتشار الفضاء الأزرق، واستسهال النشر دونما تدقيق من حيث اللغة، والأخطاء الإملائية والنحوية، إذ غالباً ما تعج صفحات وملتقيات ومنتديات ومنابر و.... تدّعي أنّها (أدبية ؟!) أو(ثقافية ؟!) بالأخطاء المقيتة والتي لا تُغتفر، ومن غير المقبول قبولها ؟!

بالمناسبة قرأت قبل عدة أيام في أحد الملتقيات الأدبية كلاماً يدّعي صاحبه أنه شعر، ويصنّف نفسه ضمن الشعراء ؟! وقد كتب كلمة (براءة) (برأة) على هذا الشكل ضمن عنوان ما سماه قصيدة وكرّرها أكثر من مرّة في سياق قصيدته العصماء ؟!

بكل تأكيد تشعر بالغثيان من مثل هذه الأخطاء ؟! وتجد نفسك مدفوعاً للإشارة إلى مواقع الخلل وأحياناً الصراخ لوقف هكذا أخطاء ؟!

لا شك أن اهتمامات الجيل تغيّرت وتبدّلت، تغيّرت الأولويات بتغير الزمن والأجيال ودخول التقنيات الحديثة والتي لم توظّف بالمجمل لصالح اللغة ؟! وهذا بكل تأكيد لا يبرر التقصير وضعف الاهتمام باللغة العربية، اللغة الأم والحاضن للفكر والثقافة والإبداع..

مع انتشار التقنيات الحديثة ووسائل الاتصال والتواصل تغير اتجاه البوصلة، تراجعت القراءة والمطالعة، تراجع الاهتمام بالكتاب والذي هو خير جليس كما كان في أيامنا عندما كنا تلامذة في المرحلة الإبتدائية قبل نصف قرن، وكانت هواياتنا المفضّلة القراءة والمطالعة، نبحث بشغف عن كتاب، أو قصة أو مجلة ولا نجدها ؟!

إذاً نحن أمام مشكلة حقيقية، مسؤوليتها لا تقع على جهة محددة، هي مسؤولية جماعية يتقاسمها الجميع ...الأسرة واهتمامها بأبنائها وتشجيعهم على الاهتمام باللغة منذ مراحل الطفولة المبكرة، المدرسة والمعلم في مرحلة رياض الأطفال والتعليم الأساسي ودوره المهم في تحبيب وتحفيز التلاميذ على إتقان اللغة العربية من خلال تعزيز المهارات اللغوية المنوّعة من خط وتعبير وفصاحة وخطابة وتحدّث بالفصحى، وهنا دور التربية في تأهيل معلمي ومدرسي اللغة العربية أولاً ومدرسي المواد الأخرى ثانياً من خلال الدورات المستمرة وإطلاع المتدربين على كل جديد وتطوير في ميدان التعليم والتعلّم.

كما أن للتعلم الذاتي ومتابعة المعلّم والمدرّس لنفسه، والاهتمام باللغة العربية الفصحى، من حيث الإتقان والمتابعة الأهميّة الكبرى في تشجيع التلاميذ والطلاب على حبّ لغتهم الأم، وتعزيز معارفهم ومهاراتهم اللغوية وصقلها من خلال القراءة والمطالعة ومحاولات الكتابة الأدبية، والأخذ بيدها إلى مدارج الضوء والحياة.

ثمّة خطوات تمّت في هذا السياق لتعزيز العلاقة بين الشباب ولغتهم الأم، وتشجيعهم على إتقانها وتذوق جمالياتها ومحسناتها البديعية ؟ نذكر على سبيل المثال:المسابقات الأدبيّة التي تقيمها منظمة اتحاد شبيبة الثورة سنويّاً وبشكل هرمي، تبدأ من المدرسة مروراً بالرابطة والفرع ثم على مستوى القطر وتكريم الفائزين الأوائل بطباعة نتاجهم في كتاب، ومسابقة تحدي القراءة بالتعاون بين وزارة التربية واتحاد شبيبة الثورة والتي تقام بشكل سنوي.

إضافة إلى المسابقات التي تنظمها فروع اتحاد الكتاب العرب سنوياً ودورها المهم في تشجيع الموهوبين أدبياً وصقل تجاربهم الفتيّة.

ويبقى السؤال قائماً:كيف نربط أبناءنا الشباب بلغتهم الأم ؟كيف نعزز مكانتها في نفوسهم وعقولهم ؟

كيف نجعلها في أولويات اهتمامتهم الفكرية والثقافية والمعرفية ؟

لا شك أن الإجابات المقنعة لهذه الأسئلة تكمن في تشجيع الشباب على القراءة والمطالعة وتوفير وتأمين (الكتاب الشعبي) بأعداد كبيرة وشبه مجانية، وكان ملحق الثورة الثقافي قد أعدّ ملفاً خاصاً عن الكتاب الشعبي وأهميته منذ وقت ليس بالبعيد.

الاستمرار بإقامة المسابقات ومعارض الكتب وتخصيص مكافآت مجزية للفائزين الأوائل.

اعتبار اللغة العربية ليست لغة تعليم فحسب، إنّما لغة حياة، تشكل لدى الناشئة محور اهتمامهم ويكون التحدث بها أولوية وضرورة.

وحتى تبقى لغتنا العربية، لغة الضاد، أمّ اللغات، لغة العلم والحياة ؟ لغة تفيض جمالاً ورقّة وعذوبة، وتشكل الحاضن لكل روافد الثقافة والمعرفة، علينا أن نعزز ثقة شبابنا بلغتهم الفصحى وجعلها في سلم الأولويات من خلال إتقانها حديثاً وكتابة والتمعن بجمالياتها وكنوزها، والارتقاء بها من كونها لغة للتعلم إلى لغة للعلم والحياة.

وتر الكلام

رحيلها المستقبلي...!

سعاد زاهر

ليست التكنولوجيا وحدها من أهم المؤثرات التي تحد من تعاطي الشباب مع اللغة العربية، بما يليق بها، بل طبيعة الظروف التي نحياها حالياً، والتي جعلتهم يتطلعون إلى الهجرة بحثاً عن حياة تقدمها لهم مواقع التواصل بكل جاذبيتها ورفاهيتها المنشودة، فأصبحت حلمهم الأثير.

كيف يسعون لتحقيقها، عبر تعلم لغة العصر الإنكليزية، فهي البوابة التي تؤهلهم للهجرة أو إكمال تعليمهم في بلاد الغرب...

وإن كان لا ضير من تعلم اللغات والانفتاح على مختلف الثقافات، إلا التهميش الذي تعيشه العربية هو ما يقلق، فبدلاً من استخدام مواقع التواصل بفعاليتها وأثرها الكبير لتعزيز الجانب الإيجابي ومساندة لغتنا، نعيش العكس تماماً.

معظم الصفحات والمتعاطين معها، يقعون في فخ العامية، والدمج بين العربية والإنكليزية، بل إن البعض يكتب عبر لوحة المفاتيح العربية بأحرف إنكليزية، إضافة إلى الاشتغال على المحتوى البصري على مواقع التواصل والانتشار الهائل للمواقع الإلكترونية ومنصات التواصل الاجتماعي والهواتف وتطبيقاتها....كلها تضر باللغة العربية، وتحد من تمكينها لدى جيل تملكته هذه المواقع، دون وجود مؤسسات أو جهات معنية بتقديم محتوى عربي جدير باهتمام الشباب.

مع تتابع الأجيال، والتمسك بالابتعاد عن الهوية والانتماء، والإصرار على الهجرة، فإن جيل كامل ينشأ بعيداً عن بلاده لن يتقن لغته بل وقد لا يتعلمها مكتفياً بلغة عالمية، أينما ذهب يحتاج إليها.

إضافة إلى كل ما سبق إن أبواب العمل تفتح بقوة لكل من يمتلك لغة أخرى، فسوق العمل تطلبها، وهي نقطة قوة لمصلحة التغريب أو ربما العولمة التي يعيش في ظلها الشاب العربي منذ فترة طويلة.

شيئاً فشيئاً، يفقد الجيل الشاب علاقته مع لغته، وبالتالي مع جذوره، وربما لو رحلنا ببصيرة تنطلق من واقعنا نحو مستقبل لغتنا، لأدركنا أنها مهددة في انتشارها، وطريقة التعاطي مع ازدواجيتها (الفصحى والعامية) وتحتاج إلى خطوات جدية يقوم المختصون بها كي تقلب موازين التعاطي العصري معها.

من العالم

هل تنقرض اللغات

وكيف يحدث ذلك هذا ما تجيب عليه مهى قمر الدين في باب أدب ونقد مجلة العربي العدد ٧٧٠، تقول:

قد يبدو لنا أنه ليس هناك سوى عدد قليل من اللغات التي يتم استخدامها حول العالم، إلا أن الحقيقة هي أن هناك عدداً هائلاً من اللغات التي يتحدث بها أشخاص في بلدان وثقافات مختلفة.

يقول المتخصصون اللغويون :إن هناك نحو ٦٥٠٠ لغة في العالم متداولة حالياً لتلبية احتياجات التواصل اليومية ، والكثير منها غير معروف، ولا تستخدم إلا من قبل السكان المحليين بحيث تنتشر بين مجموعات صغيرة في مناطق مختلفة من العالم. لكن هذا التنوع اللغوي آخذ في الانخفاض بشكل مطرد، فخلال المائة عام الماضية انقرضت أكثر من ٤٠٠ لغة، أي بمعدل ١ كلّ ٣ أشهر، ومن المتوقع أن يختفي نحو ٥٠ في المئة من اللغات المتبقية في الوقت الحالي خلال القرن المقبل. وبمعنى آخر، ستنقرض لغة واحدة كلّ أسبوعين تقريباً وقد تكون النسبة أعلى من ذلك حسب بعض الباحثين.

أما فيما يتعلق بالأسباب، فهي عديدة ومتشعبة وتتعلق بالعولمة وتغيّر المناخ والحروب والنزوح، كما أنها تختلف حسب تاريخ الأمكنة وجغرافيتها وحالتها الاجتماعية والاقتصادية، فتكون القصّة متباينة قليلاً بالنسبة لكلّ لغة لكنّها تتشابه في العديد من العوامل الرئيسية.

ما يحصل هو أن بعض السكان الأصليين يختارون التخلي عن لغتهم الأم لصالح لغات ذات هيبة ونفوذ، فيتكيفون مع اللغات الأكثر شيوعاً (مثل الإنجليزية ولغة الماندرين والعربية والسواحلية والصينية)، وذلك لأنه نظراً لأن اللغات المنقرضة أو تلك المهددة بالانقراض عادة ما يتم التحدث بها ضمن العائلة الصغيرة داخل المنزل فقط ،ولا يتم تدريسها في المدارس، فلا يتمكن الأطفال من التحدث بها بطلاقة. بالإضافة إلى ذلك، بمجرد أن يصبح هؤلاء الأطفال بالغين، من غير المرجح أن يحتاجوا إلى معرفة لغتهم الأصلية في حياتهم اليومية وبدلاً من ذلك، وبسبب هذه الحركة نحو اللغات الأكثر هيمنة، لا يواصل هؤلاء تعليم لغتهم الأم لأطفالهم في المستقبل، معتقدين أن اللغة السائدة أكثر قيمة لفرص العمل المستقبلية. وبمرور الوقت، يختفي المتحدثون المتبقون، ما يتسبب في انقراض اللغة.

مواجهة انقراض اللغات

لكن هل يهم إذا ما انقرضت لغة غامضة قد تبدو غريبة ولا يتحدث بها سوى عدد قليل من البشر في ركن منعزل من العالم؟

يقول بعض الأشخاص :إن فقدان اللغة، مثل فقدان الأنواع البيولوجية الحيّة، بحيث هو ببساطة حقيقة من حقائق الحياة على كوكب دائم التطوّر. لكن من جهة أخرى هناك حجج مضادة لهذا الاعتقاد. يقول مارك تورين، عالم الأنثروبولوجيا واللغويات بجامعة ييل الأميركية، إنه «على الرغم من أن الكثير من الناس يستدعون الداروينية الاجتماعية ليدعموا حجتهم بعدم الاكتراث لفقدان اللغات في العالم، ويشبهون انقراض اللغة بمبدأ «البقاء للأصلح»، لكننا في الواقع ننفق مبالغ ضخمة من المال لحماية التنوع البيولوجي، فلماذا يجب ألا نحمي ما يعطينا الفرادة كبشر مقارنة بسائر المخلوقات، ألا وهو اللغة؟».

من جهة ثانية، هناك من يقول :إن جزءاً من الحزن الذي نشعر به عند موت لغة معينة لا علاقة له باللغة نفسها، بل يتعلق بالمشاعر العاطفية الموجودة داخلنا ليس إلا ؛ فقد لاحظ الباحثون في مجال السياسات اللغوية، أن لغات الأغلبية تميل إلى أن تكون ذات قيمة فعلية بسبب فائدتها وقدرتها على مواكبة التقدّم، وأن بعض الناس يعتبرون لغات الأقليات عائقاً أمام هذا التقدّم، وبالتالي ينظرون إلى القيمة التي يمنحها البعض لهذه اللغات أنها مجرد قيمة عاطفية فقط.

بالإضافة إلى ذلك معظمنا يعتقد أن «الإفراط العاطفي» هو ارتباط عاطفي مبالغ فيه تجاه شيء ما، لأنه لا يعكس قيمة الشيء الذي تربطنا به هذه العلاقة. وهنا يمكن الإشارة إلى وصف الفيلسوف الراحل جيرالد آلان كوهين لمحاة بالية عمرها ستة وأربعون عاماً كان قد اشتراها عندما أصبح محاضراً للمرة الأولى في إحدى الجامعات، وقال عنها :إنها شيء «لا يحب أن يخسره» لأن هناك علاقة عاطفية تربطه بها على الرغم من قِدمها وعدم فائدتها. وتماماً مثل ممحاة الفيلسوف كوهين التي تبقى قيمتها ذاتية بحيث يكون من غير المعقول أن «كوهين» كان سيتوقع من الآخرين استثمار أي جهد في المحافظة عليها، كذلك فإن القيمة التي تشكلها تلك اللغات المنقرضة للبعض لا يبرر إلزام المجتمع ببذل جهود واسعة في سبيل المحافظة عليها.

ثراء معرفي وثقافي

القيمة التي ترتبط بلغات الأقليات ليست قيمة عاطفية بحتة، كما أنه لا يمكن اعتبار فقدان اللغة أمراً طبيعياً كفقدان التنوع البيولوجي، فمثلما توفر النظم البيئية ثروة من المنافع للبشرية، بعضها معروف والبعض الآخر غير معروف أو لم يتم اكتشافه بعد، فاللغات أيضاً مليئة بالإمكانيات، بحيث إنها تحمل تاريخاً ثقافياً فريداً وتعد قنوات لانتقال التراث البشري من جيل إلى جيل لا سيما أن الكتابة تعد تطوراً حديثاً نسبياً في تاريخنا (فالأنظمة المكتوبة غير موجودة إلا لنحو ثلث لغات العالم فقط)، لذلك غالباً ما تكون اللغة نفسها هي الطريقة الوحيدة لنقل الأغاني والقصص والقصائد والأحداث التاريخية في المجتمعات المختلفة، فالإلياذة كانت قصة شفهية قبل كتابتها كما كانت الأوديسة، وكذلك كانت حكايات ألف ليلة وليلة، وفي هذا الإطار يقول بيتر أوستن أستاذ علم اللغة الميداني بجامعة لندن: «كم هو كبير عدد التقاليد الموجودة في العالم والمشفرة في لغات معينة التي لن نتعرف عليها أبداً لأنه لم يتم تسجيلها قبل اختفاء تلك اللغات»، ففي كلّ لغة من لغات العالم هناك ثروة من الحكمة ومجموعة متراكمة من المعرفة بحيث تحمل كلّ واحدة منها طرقاً فريدة لتفسير العالم، فلا توجد اثنتان متماثلتان، كما أنه: «لا توجد ثقافة تحتكر العبقرية البشرية، ولا نعرف أبداً من أين ستأتي الفكرة الرائعة التالية»، وذلك حسب ديفيد هاريسون، المؤسس المشارك لمعهد الألسنة الحية للغات المهددة بالانقراض.

على هذا النحو، يمكن للغات المنقرضة تقديم نظرة ثاقبة عن علم الأعصاب وعلم النفس والجغرافيا وعلم الحيوان والرياضيات والملاحة وعلم الفلك وعلم الأدوية وعلم النبات والأرصاد الجوية والقدرات اللغوية لجنسنا البشري، وبالتالي فإنها توفر مسارات معينة للفكر وأطراً مختلفة لحل المشكلات، كلّ واحدة منها في سياق ثقافي وبيئي محدد. يقدر العلماء أن ما يقرب من ٨٦ في المئة من الأنواع النباتية والحيوانية في العالم لم يتم اكتشافها أو وصفها بواسطة العلم الحديث حتى يومنا هذا، ومع ذلك يُعتقد أن هناك مستودعات واسعة للمعرفة العلمية غير المعروفة وغير المكتشفة على نطاق واسع، والتي تحتفظ بها مجتمعات صغيرة ذات اثنيات مختلفة ولغات خاصة بها.

وقد أثبتت هذه المعرفة أنها ضرورية لبقاء البشرية وتطورها، ليس فقط من منظور طبي، لكن أيضاً بسبب حقيقة أن المجتمعات الأصلية لديها أساليب فريدة في زراعة واستخدام الموارد الطبيعية غير المعروفة للمجتمعات الأخرى. على سبيل المثال، اكتشفت قبائل سيري، التي تضم مجموعة من السكان الأصليين في المكسيك، القيمة الغذائية لعشب الانقليس، وهو نوع من أنواع الحشائش البحرية، الذي يمكن استخدامه كمصدر غذائي للبشر، وربما لا يقدر هذا الاكتشاف بثمن بسبب السهولة النسبية التي يمكن بها زراعة هذه العشبة.

إلى جانب ذلك، توجد في اللغة الشيروكية، مثلاً، وهي اللغة التي تعتبر من أقوى اللغات الأصلية للأميركيتين، كلمات لكلّ أنواع التوت وجذوع الشجر والأغصان والضفادع، بحيث تنقل هذه الأسماء نوع الخصائص التي قد تمتلكها كلّ من هذه الكائنات – سواء كانت صالحة للأكل أو سامة أو كانت لها بعض المنافع الطبية. وفي اللغات المنقرضة جنوب شبه الجزيرة العربية أيضاً، هناك ثروة من المعلومات التي ضاعت مع انقراض تلك اللغات كون معظمها كان مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بالبيئة المحيطة بها وجوانب الاقتصاد المختلفة سواء من تربية الأبقار والإبل والماعز أو صيد الأسماك. فعلى سبيل المثال، ترتبط اللغة المهرية (وهي لغة قبيلة المهرة شرق اليمن وعمان والكويت والإمارات والسعودية وأيضاً في الربع الخالي) بالطبيعة، بحيث يمكن وصف الرجل الطويل الكثيف الشعر بالشجرة الكثيفة الأغصان، كما أن الملعقة أو أي أداة يتم فيها تناول الطعام تسمى لحاء الشجر(كما كانت تسمى كذلك في اللغة الباثارية أيضاً). وفي عصرنا الحالي تمّ استخدام المعرفة المتضمنة في اللغة الحرسوسية، وهي لغة قبيلة الحراسيس في سلطنة عمان، لإحياء حيوان المها العربي المهدد بالانقراض.

تقاطع اللغة والثقافة والهوية

من جانب آخر، يساعد فهم اللغات على فهم طريقة تفكيرنا أيضاً، حيث يعتقد البعض أن اللغة التي نتحدث بها تؤثر على بنات أفكارنا، بل أكثر من ذلك هناك من يؤكد أن اللغة هي التي تجعل التفكير أمراً ممكناً،وهذا الادعاء مبني على النظرية المسماة بنظرية «سابير-وورف» التي تقول :إن اللغة هي التي تقوم بقولبة تفكيرنا وسلوكنا بحيث إننا نفهم الأشياء والأحداث وأنفسنا والآخرين من خلال عملية تفسير تحدث في اللغة. ومن هنا تصبح اللغة جزءاً من هويتنا ومن هنا أيضاً يمكن اعتبار أن هناك تقاطعاً قائماً بين اللغة والثقافة والهوية، لذلك يؤدي فقدان اللغة إلى تقويض إحساس الناس بالهوية والانتماء ويتسبب في اقتلاع مجتمعات بأكملها من جذورها. ويؤكد على هذا الأمر الكاتب الكيني نغوغي واثيونغو الذي يقول :إن «فقدان اللغة يعني فقدان الهوية لأن اللغة هي حاملة لثقافة الشعوب وهي التي تعبّرعن مجموع قيمهم التي هي أساس تعريف الناس لذواتهم، أساس وعيهم». وهكذا، فإن اللغة هي أساس الارتباط التاريخي للشعوب، وهي صوت روحهم الجماعية، ومع ضياعها لن تتمكن الأجيال الجديدة من الارتباط بجذورها، ومن دون هذا الارتباط سيفقد الأشخاص الإحساس بالمكان والهدف والمسار، ولهذا السبب يعد فقدان اللغة مصدر قلق كبير، وتعتبر مسألة المحافظة على لغة الأقليات قضية مشحونة عاطفياً في جميع أنحاء العالم.

حفظ اللغات المهددة بالانقراض

هناك العديد من الأقسام الأكاديمية والمنظمات غير الربحية حول العالم المكرّسة لحفظ اللغات المهددة بالانقراض من أجل ضمان بقائها بعد رحيل آخر متحدث بها. يقوم الباحثون اللغويون فيها بتسجيل وتوثيق وأرشفة تلك اللغات، وذلك من خلال صنع القواميس وتسجيل التواريخ والتقاليد وترجمة القصص الشفوية. لكن بما أنه من دون متحدثين أو أشخاص مهتمين بتنشيط تلك اللغات، فإن هذه الجهود سوف تشبه إبقاء تلك اللغات كقطع أثرية في المتاحف، لذلك تكمن الفكرة وراء تقنيات الحفظ هذه في إعادة تقديم تلك اللغات في وقت ما بالمستقبل. أحد الأمثلة الناجحة على مثل تلك الجهود يتعلق بلغة ميامي، وهي اللغة الأم لأميركا الشمالية، التي انقرضت في الستينيات من القرن الماضي، والتي يتم تقديمها اليوم كدورة بجامعة ميامي في ولاية أوهايو الأميركية.

وفي مكان قريب بعالمنا العربي ينفذ مركز الدراسات العُمانية سلسلة مشاريع بحثية منها مشروع دراسة لغة «الهوبيوت»، إحدى لغات جنوب شبة الجزيرة العربية المهددة بالاستسلام للغة العربية، والذي يعمل عليه باحثون من جامعة السوربون الفرنسية بحيث تعتمد تلك الأبحاث على المقابلات والاستماع إلى النّاس في حياتهم اليوميّة الخاصّة والعامة، وذلك بالتزامن مع جمع مادّة بحثيّة متنوّعة بلغة الهوبيوت من أشعار وقصص شعبيّة وروايات عن العادات والتقاليد والصيد والزراعة.

هناك أيضاً منظمة Leverhulme Trust، التي تعنى بالأبحاث الأكاديمية في المملكة المتحدة، تهتم أيضاً بتنشيط خمس من أصل ست لغات جنوب الجزيرة العربية المهددة بالانقراض، وهي الحرسوسية والمهرية والباثارية والهوبيوت والشحرية، والعمل عن قرب مع السكان المحليين وتشجيعهم على الافتخار بلغتهم ومساعدتهم على نقلها إلى الأجيال الصاعدة من خلال إشراك أعضاء المجتمع اللغوي فيها بعملية التوثيق والاستخدام المبتكر للتقنيات الحديثة مثل البريد الالكتروني والرسائل النصية القصيرة والمدونات والتغريدات لنقلها بأشكال جديدة وتطوير وتعزيز الثقافة التي تطوّرت في أحضانها.

وهكذا، على عكس أسطورة برج بابل التي تقدّم نظرة سلبية لتعدد اللغات في العالم وتعتبره بمنزلة عقاب إلهي للجنس البشري، يمكن التأكيد على أن تعدد اللغات يعتبر ثراءً بشرياً على الصعيد الثقافي والبيئي والإنساني والتاريخي والعلمي أيضاً، فضلاً عن كونه وسيلة مهمة لمواجهة العولمة الطاغية .

حين تصبح اللغة سلعة

سلام الفاضل

ما تعيشه اللغة العربية من مصاعب ومشاكل ليس عادياً، وهي تزداد كل يوم، حول ذلك كتب الدكتور كامل فرحان صالح، (أي أنها قد أصبحت سلعة تباع وتشرى).

فاللغة ليست هدفاً بحد ذاتها، هي أداة تواصل للأمة، للمجتمع... للحضارة التي تنطق بها، وحين تكون الأمة في حال تردٍ أو تراجع أو تقهقر، فمن طبيعة الأمور أن تتقهقر اللغة الناطقة بها.. عبر التاريخ نلحظ أن اللغة ترتفع بارتفاع المنسوب الحضاري للأمة؛ عبر منتجاتها وعطائها وفكرها، وقياداتها الحكيمة، وتتقهقر مع تراجع هذه العوامل.. اللغة عنصر أساسي من عناصر الهوية، وبالتالي حين يحدث الشرخ بالهوية، يصيب اللغة.. ما أريد قوله إن المشكلة لا تكمن في الأستاذ أو في الطالب، أو في الدروس المعطاة.. قديماً كان الطالب يقرأ في القرآن الكريم، ويصبح مفكراً، أو عالم لغة، أو أديباً، أو عالم اجتماع.. لم تكن وسائل الإيضاح موجودة، ولا التطور التقني، ومع ذلك كان ثمة مستوى راقٍ من العطاء الفكري، والاهتمام باللغة وسلامتها. وبالتالي الكلام الكثير عن تطوير المناهج أمر جيد بحد ذاته، لكن المناهج ليست هي العقدة، وإنما المشكلة في مكان آخر.. حين تتطور الأمة وتعود إلى المشهد الحضاري عبر الإنتاج الفكري والصناعي والزراعي... وغيره؛ ترجع اللغة لتأخذ مسارها الطبيعي وتتقدم.. نحن لا نتحدث لغة امرئ القيس أو المتنبي، اللغة تتغير وتجدد نفسها بنفسها.

المشكلة في إنسان هذه اللغة وحضارتها، بدليل أنه منذ انتشار العصر الرقمي، استطاعت العربية أن تثبت وجودها في هذا العالم، وفرضت نفسها.. نلحظ ذلك من خلال الشركات الرقمية الكبرى، بحيث إنها تهتم بالعربية، وعملت على برمجة الكتيبات التي تنتجها باللغة العربية، وهذا ما ساهم في تعزيز العربية، وأصبحت موجودة بالعالم الرقمي.

المشكلة في الجوهر وأن اللغة بالنسبة للجيل الجديد لم تعد من عناصر الهوية، هي بالنسبة إليهم سلعة، بدليل الكتابة بـ«العربيزي»؛ أي بالحروف اللاتينية.. هذا الجيل فقد إيمانه بأن الإنسان العربي قادر على العودة إلى المشهد الحضاري.. لذلك يجب أن نعيد الثقة لهذا الجيل، وهذه مسؤولية القيادات، حتى المجامع اللغوية لا تستطيع أن تفعل شيئاً؛ لأنها جزء من المؤسسات الرسمية المتهرئة، لم تعد تقدم رؤىً وحلولاً، لم تعد تقدم خططاً للمستقبل.

من المحيط إلى الخليج؛ نحن شعوب مستهلكة ولا تنتج بشكل فاعل.. مظاهر الحضارة ليست تلك التي نعيشها.. الحضارة تتجلى في كيفية معالجة المشكلات، وفي الوقت نفسه تقديم رؤى للمستقبل ومواجهة التحديات.. تدبّر كيفية تقديم العيش الكريم للشعب، لا أن تقع الدول في ديون مرهقة لشعوبها.. الدخول في موضوع اللغة يدفعنا للخوض في مختلف العناصر الحضارية الأخرى. هي جزء من هذا المشهد العربي المليء بالثقوب.. وبالتالي حين يكون المشهد العام مشوشاً بالضبابية؛ فمن الطبيعي أن تعكس اللغة هذا المشهد.

زاوية حادة..

وجه القبح ونشازه ..

د.ح

كثيراً ما رددنا أن الثقافة هي جدار الصد الأول لأي أمة من الأمم ..هي الجدار الذي إن سقط انهار كل شيء..

الولايات المتحدة في حربها على العالم بدأت بالعدوان على الثقافة ومازالت مستمرة بذلك ..في الحرب غير المعلنة على الاتحاد الروسي من قبل الناتو ظهر ذلك تماماً ..ألم يشنوا حرباً على أعلام الأدب الروسي ؟

واليوم يتابعون ذلك في متاحفهم ..إليكم ما تقوله سبوتنيك حول ذلك :

متحف أميركي مشهور يزور جنسيات الفنانين الروس!

(واصل متحف «ميتروبوليتان» للفن في نيويورك تغيير جنسية الفنانين المشهورين، حيث قام بتسجيل إيفان أيفازوفسكي كفنان أرمني وقبل ذلك سجل أرخيب كوينجي كفنان أوكراني.

وقرر المتحف، سابقاً، اعتبار الفنانين الروس إيفان أيفازوفسكي وإيليا ريبين وأرخيب كوينجي كفنانين أوكرانيين.. وأمس الجمعة تم تسجيل أيفازوفسكي كفنان أرمني.. وكتب تحت لوحاته: «الأرمني الذي ولد في الإمبراطورية الروسية (أوكرانيا حاليا)». وإذا كان منطق المتحف فيما يخص تحديد الهوية العرقية لأيفازوفسكي مفهوماً لحد ما، فلا يزال منطق المتحف في تحديد هوية أرخيب كوينجي من أصول يونانية كفنان أوكراني غامضاً للغاية.

وأرسلت وكالة «نوفوستي» الروسية خلال عدة أسابيع استفسارات إلى دائرة الصحافة بمتحف «ميتروبوليتان» مع طلب لتوضيح سبب اعتبار الفنان الروسي أرخيب كوينجي الذي ولد وتوفي في الإمبراطورية الروسية فناناً أوكرانياً.. ولم تتلق الوكالة إجابة عن استفساراتها حتى الآن.

وبدلاً من الإجابة أضاف المتحف مذكرة كتب فيها أن الفنان كوينجي «ولد في الإمبراطورية الروسية».. والآن كتب على اللافتة الموجودة بجانب لوحة «الغروب الأحمر»: «ولد أرخيب إيفانوفيتش كوينجي، الأوكراني، في ماريوبول عام ١٨٤١ وتوفي في سان بطرسبرغ عام ١٩١٠».

كرامة اللغة من كرامة الشعوب

عبد الكريم البليخ

إنّ عدم تشجيع الأهل على استخدام اللغة الفصحى، فلغة السواد لمجموعة من الناس ظلت العامية هي الطاغية بينما الفصحى اقتصرت على الخاصة، أي لغة الطبقة المتعلمة. وتعتبر اللغة الرسمية المعترف بها في إطار مؤسسات السلطة وفي المحافل الدولية والإعلامية والتربوية والعلمية والأدبية. وهناك كثير من متحدثي اللغة العامية لا يقوون على القراءة والكتابة، ما يعني هناك صعوبة في فهم واستيعاب ما تعنيه الفصحى من خلال احتوائها على مفردات لم تطرق سمعهم.

وهناك مشكلة أخرى تعاني منها اللغة ويجد الشباب، الجيل الناشئة، صعوبة بالغة في التعامل معها، وهي مشكلة اختلاف اللهجات العامية في البلد الواحد، فضلاً عن ظاهرة استخدام كثير من الأدباء والمفكرين للهجات العامية في نتاجاتهم الإبداعية، وهذه ما ينتج عنها ضعف لغوي لدى فئة غير محدودة وبخاصة في المرحلة الابتدائية، وإسناد تعليم اللغة العربية في هذه المرحلة إلى معلمين غير مؤهلين لتدريسها، ومن هنا صار جلياً الركض خلف الأسماء الأجنبية والبحث عنها، والكل يرفض اللغة العربية وبخاصة جيل الشباب، ويعتقد البعض أنّ الحضارة مرتبطة بالأسماء الأجنبية، وأن التخلّف مرتبط باللغة العربية، ويكفي أن نشير هنا إلى أن أغلب الفنادق التي تم إنشاؤها في السنوات الأخيرة. وهي كثير جداً . بالكاد أن تجد بينها فندقاً واحداً يحمل اسماً عربياً .

الغريب في هذه الظاهرة أنها لم تعد تصدم الذوق العام، ولم يعد فيها أي استفزاز للمواطنين، بل إنّ الجميع يتقبلون الأمر ببساطة.. والمعنى الوحيد لهذه الظاهرة، ولعدم ضيقنا بها، هو أن إحساسنا بقيمة اللغة القومية قد انتهى، وأصبح صفحة منطوية من صفحات التاريخ القديم.

وقد صاحب هذه الظاهرة العامّة الرئيسية ظواهر أخرى كثيرة، مثل انتشار الخطأ اللغوي في الصحف والمجلات والكتب المطبوعة، وانتشار هذا الخطأ على ألسنة المذيعين والمذيعات في أجهزة الإعلام المختلفة. وفي نفس الوقت نلاحظ كثرة استخدام الألفاظ الأجنبية على ألسنة المتحدّثين الذين يحاولون الظهور بمظهر حضاري لائق بهم، لأن الحديث باللغة العربية الخالصة هو عند هؤلاء أصبح دليلاً من أدلة الجهل وعدم المعرفة بثقافة العصر.

وهذه الظواهر كلها دليل فادح على عدم الثقة بالنفس، والخضوع لسيطرة الشخصية الأجنبية التي أصبحت تغزو عقولنا ومشاعرنا وحياتنا اليومية. ولا يوجد شعب في العالم يقبل مثل هذا الخضوع اللغوي للآخرين باختياره وإرادته.

الإنكليز يُقدسون لغتهم ويبذلون جهوداً غير عادية لنشرها في أنحاء العالم كله، ولا يبخلون بالأموال الكثيرة في سبيل دعم هذه اللغة وتمكينها من السيادة والانتشار في العالم. وفي أي أرض تتيح للإنكليز أن يفتحوا مركزاً بريطانياً لتعليم اللغة الإنكليزية فإنهم لا يترددون في ذلك، بل يسارعون إليه، ويدفعون المكافآت والجوائز التشجيعية للطلاب الأجانب حتى يتعلموا اللغة الإنكليزية ويتقنونها أشد الاتقان.

والفرنسيون يفعلون الشيء نفسه ويبذلون الجهد والمال لنشر لغتهم والوقوف كمنافسين أشدّاء للإنكليز في الصراع اللغوي العالمي الكبير.

كل شعوب العالم تفعل ذلك، ولا تكتفي بالاهتمام بلغتها في الداخل، بل تعمل على التبشير بهذه اللغة في كل الأوطان الأخرى وبين جميع الأجناس البشرية.

وهذه علامة من علامات الصحّة الحضارية واحترام الذات والحرص على قوّة الأمّة والعمل الدائم على أن تكون هذه الأمّة مؤثرة على الآخرين.

فما الذي أصابنا نحن حتى أصبحنا نتنازل عن لغتنا باختيارنا، ونوجّه إليها الطعنات كل يوم وكأنها ليست لغتنا القومية، بل هي لغة أعداء لنا لا يستحقون منا إلّا الكراهية والرفض؟

لماذا أصبحنا نستهين باللغة العربية هذه الاستهانة الواسعة الشاملة دون أن تجد هذه الاستهانة رادعاً من القانون أو من الرأي العام؟

إنّها ظاهرة تدلّ على أن المرض قد استولى على جسم الأمّة وعقلها ونفسيتها، وأن هذا المرض، لقوّة انتشاره وسيطرته على الجسم، لم يَعُد أحداً يشعر به أو يخشى منه.

لقد تعرّضت اللغة العربية من قبل لحروب عنيفة، ولكن هذه الحروب كانت دائماً وافدة عليها من الخارج، أي إن الذين شنّوا هذه الحروب كانوا دائماً من الأعداء وأصحاب المصلحة من الأجانب.

كان المستشرقون يطلبون منّا التخلي عن اللغة العربية، وإحلال اللهجة العامّية مكانها، ليصبح هناك ما يمكن تسميته باسم اللغة العامية الخاصة بنا والبعيدة عن اللغة العربية تماماً.

ولم يكن هؤلاء المستشرقون يعلمون أنهم بعد مرور ما يقرب من قرن على دعوتهم إلى العامية وإحلالها محل اللغة العربية، أنّه سوف يظهر جيل في بلادنا يسبقهم في دعوتهم ويرفض اللغة العربية واللهجة العامّية معاً، ويحرصُ كل الحرص على أن تكون اللغة التي يستخدمها هي الإنكليزية أو الفرنسية.. وأين؟

إنّ هذا الجيل يستخدم هذه اللغات الأجنبية ليس في لندن أو باريس، وإنما في القاهرة وفي دمشق .. في بغداد ودبي وعمان وتونس وطرابلس الغرب والجزائروالرباط والخرطوم، وفي سائر المدن والقرى، وبذلك تجاوز هذا الجيل كل أحلام المستشرقين الذين تبنوا الدعوة إلى الابتعاد عن اللغة العربية واستخدام العامّية بدلاً منها.

وهكذا انتقلت الحرب على اللغة العربية من المستشرقين الأجانب، إلى أهل البلاد أنفسهم، فهم الذين يقومون الآن بالجهد الأكبر في سبيل تحطيم اللغة العربية، وجعل الواجهة اللغوية للبلاد واجهة أجنبية خالصة.

وأخطر ما في هذه الظاهرة الجديدة أننا لا نشعر بالقلق، ولا نحس بأي خطر علينا في هذا المجال، فلا أحد يتحرّك ولا قانون يصدر، وإذا كتب كاتب أو تحدث إنسان حول هذه الظاهرة، نظر إليه الناس على أنه واحد من الذين يشغلون أنفسهم بأمور لا أهمية لها ولا قيمة.

لماذا وصل إحساسنا بهذه الظاهرة إلى هذا الحد من التبلّد؟ وكيف يتحول الشارع العربي في سنوات قليلة إلى شارع أجنبي في كل ما يستخدمه من لافتات وأسماء؟ وكيف أصبحت اللغة العربية مهزومة على يد أبنائها إلى هذا الحد أمام كل اللغات الأجنبية الأخرى؟ وما أفدح ما نعاني منه دون أن ندري... لقد مات إحساسنا بلغتنا، ولم نعد نشعر بأن كرامة اللغة من كرامة الشعوب.

وهناك قلة من الشباب، وبصورة خاصة في بلاد الاغتراب، ممن سنحت لهم الفرصة في اللجوء بعيداً عن بلادهم الأصلية، إنهم هجروا اللغة، ولم تعد تعني لهم شيئاً، فبتنا نجد كثيراً من الشباب اليوم بعيداً عن الاهتمام بلغته، أو محاولته التقرب إليها من خلال الانخراط في مدارس عربية تهتم باللغة العربية، وتعلمها، وهذا ما أفرز جيلاً واسعلاً من الشباب يجهل تماماً لغته الأم وكيفية التعامل معها؟ والنسبة في هذا الإطار كبيرة وكبيرة جداً، لأنه لم يعد هناك إلّا نسبة ضعيفة جداً ممن ظلوا يجاهدون في الركض وراء تعلمها، وبمساعدة الأهل أنفسهم، وإلحاحهم المستمر، وبصورة خاصة بالنسبة للأطفال، أو حتى لفئة الشباب.

إنّ أغلبية هؤلاء بحاجة إلى إعادة الاعتبار للغة العربية التي لم تعن للكثير شيئاً، وكل اهتمامهم منصب في تعلم اللغات الأجنبية التي يفضلونها عن لغتهم الأم، بل ويفاخرون بها.

إنّ عودة الشباب إلى ساحة اللغة العربية، وإدراجها ضمن خطة مدروسة بهدف تعلمها، فهذا يتطلب متابعة جادة من قبل الجاليات العربية في بلاد الاغتراب، وبإلحاح من قبل الأهالي المعنيين أولاً بإلزام أبنائهم وترسيخ دورهم في تعليم أبنائهم اللغة العربية، وهذا يعتمد على إصرارهم، وتفعيل دورهم حتى نتمكن من إعادة جيل كامل إلى حضن اللغة العربية، وتعلمها للحفاظ عليها، وهذا ما نأمله من خلال دعم السفارات العربية وملحقياتها الثقافية في الخارج، من خلال الإشراف على هذا الجيل، وتحفيز أمثال هؤلاء الراغبين في تعلمها وتشجيعهم، والعمل على ترغيبهم للحفاظ على لغتنا الأم.

يوسف المحمود... بين الصحافة والأدب

أحمد بوبس

حين أقول أستاذي يوسف المحمود، فإني أقصد ذلك بكل ما تحمله العبارة من معنى، فحين ولجت جريدة الثورة صحفياً في أواخر السبعينيات من القرن الماضي (القرن العشرين)، جمعتني به غرفة واحدة في الطابق الثاني من المبنى القديم لجريدة الثورة خلف القصر العدلي القديم قرب سوق الحميدية.. ومنذ الأيام الأولى أتذكر تماماً كيف استقبلني بكل ود، أحسست برعايته الأبوية لي، فكان يقرأ كل مادة صحفية أكتبها، فإما أن يثني عليها، أو يبدي بعض الملاحظات المفيدة لي، ومعظمها كانت ملاحظات لغوية.. ولم يكن يُبدي مثل تلك الملاحظات للزملاء الآخرين، بل لي فقط، لأنه أحبني وآمن بموهبتي في الكتابة نثراً كانت أم شعراً.

وقبل أن ألج صحيفة الثورة، تتلمذت على كتاباته فيها وبشكل خاص زاويته اليومية في الصفحة الأخيرة من الثورة (إلى من يهمه الأمر) التي كانت أكثر الزوايا الصحفية متابعة في الصحف السورية، فبسببها أصبحت من قراء (الثورة)، وكنت أتلقفها صباح كل يوم وأقرؤها لأستمتع بأسلوبه الساخر، وكان يستنبط موضوعاتها من القضايا الحياتية للناس، ويعالجها بأسلوب ساخر شيق وجميل، وكان يعتبر الزاوية كأحد أولاده.. واستمرت حتى جاء أحد المديرين العامين للجريدة - سامحه الله - فألغى الزاوية من الصفحة الأخيرة، فكانت صدمة كبيرة للأستاذ يوسف، ويومها تحدثنا مع المدير العام ليبقيها له، لأنها روحه التي يعيش بها، ولأنها أحد أسباب رواج جريدة الثورة ومبيعاتها، لكنه رفض.. وبالفعل شكل إلغاء الزاوية صدمة كبيرة للأستاذ يوسف، فأصبح مقلاً في الكتابة حتى تقاعد.

وإضافة إلى زاويته اليومية كان يوسف المحمود يترجم الدراسات والمقالات السياسية والأدبية عن الصحف العالمية مثل (نيويورك تايمز) و(هيرالد تريبيون) و(نيوزويك) عن اللغة الإنكليزية التي درسها بالمراسلة ونال إجازتها الجامعية من جامعة القاهرة، بعد أن نال إجازة اللغة العربية من جامعة دمشق.

وإضافة إلى الكتابة الصحفية، كان يوسف المحمود أديباً مبدعاً في الكتابة القصصية.. ولا أزال أتذكر بفرح كيف أهداني مجموعته القصصية (سلامات أيها السعداء)، فانكببت على قراءتها بمتعة كبيرة.. فهذه المجموعة القصصية شكلت فتحاً في الأدب القصصي الساخر، بأسلوبه الجميل الذي يجمع بين الواقع والخيال، وله غير (سلامات أيها السعداء) مجموعتان قصصيتان، هما

(المفسدون في الأرض) و(حارة النسوان).

إلا أن الإبداع الأدبي الأهم ليوسف المحمود كان رواية (مفترق المطر) التي تشكل إضافة كبيرة وقيمة للرواية العربية.. وتنتمي الرواية إلى الواقعية بامتياز.. فأحداثها حقيقية، حدثت في قريته (كفر شاعر) عندما كان طفلاً، وكان أحد شهودها بل أحد شخوصها.. وتبدأ الرواية عندما خرج طفلاً يودع أخته (خاتون)، عندما حملها موكب العرس، لتنتقل إلى قرية أخرى، لتعيش في كنف زوجها.. ولتتوالى بعد ذلك أحداث الرواية متناولة الحياة اليومية للبيت الذي نشأ فيه.. وإلى جانب قيمتها الأدبية، تضمنت هذه الرواية توثيقاً مهماً لعادات وتقاليد الناس في قريته والمنطقة المحيطة بها (منطقة دريكيش) وحتى لهجة المنطقة.

هذه بعض من جوانب حياة يوسف المحمود الصحفي والأديب والإنسان الذي قست عليه الحياة وعاركته، لكنه كان أصلب منها. وعندما كنت أصافحه كنت ألمس تلك القساوة من خشونة يديه اللتين كانتا وسيلة كفاحه في الحياة.

فقد عاش معاناة الفقر وقسوة الحياة منذ ولادته في قرية كفر شاعر التابعة لمحافظة طرطوس عام ١٩٣٢.. لكنه استطاع بتصميمه وعصاميته أن يتغلب على قسوة الحياة، فنال الشهادتين الإعدادية والثانوية بدراسة حرة، وانتسب إلى كلية الآداب بجامعة دمشق وحصل منها على إجازة اللغة العربية.. وبعد تخرجه انخرط في سلك التدريس مدرساً للغة العربية، وأعير إلى الجزائر ما بين عامي (١٩٧٠ و ١٩٧٤)، عاد بعدها إلى دمشق.. لينتقل من التدريس إلى العمل الصحفي في جريدة الثورة.

وخلال دراسته الجامعية وعمله في التدريس، كتب في العديد من الصحف والمجلات، فكتب في مجلة (الصباح) الدمشقية لعبد الغني العطري وراسل مجلة العرفان اللبنانية التي كانت تصدر في مدينة صيدا، كما كتب في جريدة (ألف باء) الدمشقية.

وبداياته الأدبية كانت مع الشعر، وبشكل خاص الشعر الساخر.. الذي كتب منه نحو خمسين قصيدة، نشرها في مجلة الدنيا لعبد الغني العطري، وجمعها بعد ذلك في مخطوط حمل عنوان (تيتي تيتي) المأخوذ من المثل الشعبي الذي يقول (تيتي تيتي متل ما رحتي متل ما جيتي)، وظل هذا المخطوط مخطوطاً لم تتح له فرصة الطباعة.

أما على الصعيد الإنساني، فقد كان يوسف المحمود إنساناً بكل ما تحمله هذه الكلمة من معانٍ أخلاقية ونفسية.. كان مثال الدماثة والكياسة، كان أباً روحياً لنا في الجريدة.. لم نره يوماً غاضباً.. كان الأدب خلقه وسلوكه في الحياة، دون أن ننسى ظرفه وعباراته الطريفة.. ومن طرائفه معي، أنني عندما بدأت عملي في الجريدة، قدم لي سيجارة فاعتذرت عن قبولها لأنني لا أدخن، فقال لي بالعامية (ما بتدخن وجايي تعمل صحفي).

وأفجع من فقدنا من وجدنا
قبيل الفقد مفقود المثال

ستبقى حياً بيننا.. تحييك فينا ذكريات لن ننساها، وقصصك ورواياتك وزاويتك الجميلة (إلى من يهمه الأمر).. سيبقى يذكّرنا فيك كل شيء، من السيجارة إلى الحقيبة التي كنت تتأبطها، إلى ركنك في مكتبنا المشترك في البناء القديم لجريدة الثورة، إلى زياراتي لك في منزلك بعد تقاعدك في أقاصي مساكن برزة.. ذكريات تزيد من ألمي على فراقك أيها الغالي.. لكني أجدها الآن ذكريات حلوة، كم أحن إليها حين كنت أجلس قبالتك أستمع لك وأستمتع بحديثك وحكاياتك التي كانت بالنسبة لي دروساً في الأدب والحياة.

هل مازالت الآداب الأوروبية تحتاج الأدب الروسي ؟

مها محفوض محمد

سؤال تم طرحه منذ فترة بعيدة من الزمن، ولكن يتجدد اليوم مع فورة الحرب الثقافية العدوانية الغربية على التراث الروسي العظيم الذي قدم للبشرية أروع الأعمال الروائية.

ولكن الجيل الجديد من ساسة الغرب لايعرف شيئاً عن الثقافة والفكر، فكان أن حرض على إلغاء تدريس أعمال بعض الكتاب الروس، ووقف موقف المؤيد لتدمير أوكرانيا نصب المبدعين الروس، وبالعودة الى السؤال السابق يجيب عليه الكاتب هنري دولوي في كتاب « الحب والشعر والثورة» عن فلاديمير مایاكوفسكي الشاعر الروسي التكعيبي الأول.

وفي كتابه الصادر عن دار «الزمن» منذ فترة يقول دولوي: ماذا بقي من قصائد مایاكوفسكي شاعر الشيوعية الروسية الأول كما كان غوركي روائيا لها وآلان بورغ الصحفي الناطق باسم الأدب السوفييتي وشولوخوف الأديب الناطق باسم الطبقة الفلاحية ويخاطب دولوي هؤلاء كما خاطب آرغون الأدب السوفييتي وأعطاه حقه ومكانته في مرحلة ما...

كما يتساءل لماذا بقي انتحار هذا الأديب يؤرق المؤرخين لأنه باختفاء هذا الشاعر الغنائي الكبير طوت الآداب السوفييتية مرحلة الشيوعية التي حملت الآمال للملايين في العالم إذ إنه وبعد جيل من الأدباء والكتاب الحالمين حمل مایا كوفسكي التمرد الشيوعي إلى أوجه كما بقي إلى جانب التزاماته السياسية أبرز شاهد على اضطرابات القرن العشرين.

لقد عاش مایاكوفسكي المولود في جورجيا عام ١٨٩٣ في أجواء الأرياف الروسية وعاين عن قرب الشقاء والفقر منذ صغره حيث توفي والده حارس الغابة لتهاجر الأسرة إلى موسكو وينتسب الصبي في سن الرابعة عشرة إلى الحزب البلشفي الروسي ويدخل السجن عام ١٩٠٨ حيث استطاع أن يقرأ تولستوي وبايرون وشكسبير وحين أطلق سراحه عام ١٩١٠ انتسب إلى مدرسة الفنون الجميلة في موسكو واختلط مع مجموعة قرية« المستقبلية» التي أسسها مارينتي، كما تأثر في تلك المرحلة بالشاعر الروسي الكبير خلبينكوف الذي أصبح صديقه فيما بعد.

ثم أصبح للبوهيميين الموسكوفيين الذين سخروا من البرجوازية الأوروبية وفي تلك المرحلة نشر مع رفاقه بياناً بعنوان: «الصفعة الشعبية».

وكانت تلك الحركة الثقافية «المستقبلية» صفعة في وجه الانهيارات الفكرية التي شهدتها أوروبا آنذاك ليستفيق المثقفون الأوروبيون على واقعية مایاكوفسكي الذي استخدم في قصائده تعابير المهمشين والأحاديث التي يتناقلها العمال.

ففي عام ١٩١٥ نشر مجموعته: «غيوم في البنطال» وهي قصائد موجهة إلى غوركي روائي الشعب الروسي الأول.

وخلال سنوات الحرب صدرت له عدة قصائد ومجموعات شعرية منها رائعته «الإنسان» عام ١٩٧١ كما شارك في تحرير المجلة الساخرة «ساتيلكون».

تعاطف فلاديمير في تلك المرحلة مع الحركة البلشفية ليصبح ما بين الأعوام ١٩١٨-١٩٢٢ موظفاً في الوكالة الشيوعية للبريد وينشر يومئذ «قصيدته الدرامية» ١٥٠ مليوناً وهي قصيدة ساخرة ناقدة أعقبها بمسرحيتين.

في عام ١٩٢٣ أسس مایاكوفسكي الجبهة اليسارية للفن ذات التوجه الشيوعي ومجلة «اليسار» ليتحول حينذاك إلى معبود الشباب السوفييتي.

قام بعد ذلك بأسفار عديدة إلى الولايات المتحدة والمكسيك وإسبانيا وفرنسا.

في العام ١٩٢٩ تسلم رئيس تحرير مجلة الحزب الشيوعي «الأخبار» وكتب يومها قصيدته «رجل الدولة» عن لينين وقصيدة أخرى عن ثورة أكتوبر يعرض من خلالها التاريخ السوفييتي.

وبالرغم من محاربة عدد من موظفي وزارة الثقافة لهذا الشاعر الوطني لايزال السؤال يحير النقاد المؤرخين: ما الأسباب التي دفعت مایاكوفسكي لأن يطلق الرصاص على قلبه.

شاعر وقصيدة

في دمشق

محمود درويش

تطيرُ الحماماتُ
دِمَشْقَ
شاعر وقصيدة
تطيرُ الحماماتُ
خَلْفَ سِياجِ الحريرِ
أُثْنَتَيْنِ
أُثْنَتَيْنِ
في دِمَشْقَ
أَرى لُغَتي كُلَّها
على حبّة القَمْحِ مكتوبةً
بإبرة أُنثى
يُنَقِّحُها حَجَلُ الرافِدَيْن
في دِمَشْقَ
تُطَرِّزُ أَسماءُ خَيْلِ العَرَبْ
مِنَ الجاهليّةِ
حتى القيامةِ
أَو بَعْدها
بخُيُوطِ الذَهَبْ
في دِمَشْقَ:
تسيرُ السماءُ
على الطُرُقاتِ القديمةِ
حافيةً حافية
فما حاجةُ الشُعَراءِ
إلى الوَحْيِ
والوَزْنِ
والقافِيَهْ؟
في دِمَشْقَ
ينامُ الغريبُ
على ظلّه واقفاً
مثل مِئْذَنَةٍ في سرير الأَبد
لا يَحنُّ إلى بَلَدٍ

أَو أَحَدْ
في دِمَشْقَ
يُواصل فِعْلُ المُضَارِعِ
أَشغالَهُ الأُمويّةَ:
نمشي إلى غَدِنا واثِقِينَ
من الشمس في أَمسنا
نحن والأَبديّةُ
سُكّانُ هذا البَلَدْ!
في دِمَشْقَ
تَدُورُ الحوارات
بين الكَمَنْجَةِ والعُود
حَوْلَ سؤال الوجودِ
وحول النهايات:
مَنْ قَتَلَتْ عاشقاً مارقاً
فَلَهَا سِدْرَةُ المنتهى!
في دِمَشْقَ
يُقَطِّعُ يوسُفُ
بالنايَ
أَضْلُعَهُ
لا لشيءٍ
سوى أَنَّهُ
لم يَجِدْ قلبَهُ مَعَهُ
في دِمَشْقَ
يَعُودُ الكلامُ إلى أَصلِهِ
الماءِ:
لا الشِعْرُ شِعْرٌ
ولا النَثْرُ نَثْرٌ
وأَنت تقولين: لن أَدَعَكْ
فخُذْني إليك
وخُذْني مَعَكْ!
في دِمَشْقَ

ينامُ غزالٌ
إلى جانب امرأةٍ
في سرير الندى
فتخلَعُ فُسْتَانَها
وتُغَطّي بهِ بَرَدَى!
في دِمَشْقَ
تُنَقِّرُ عُصْفُورَةٌ
ما تركتُ من القمحِ
فوق يدي
وتتركُ لي حَبّةً
لتُريني غداً
غَدِي!
في دِمَشْقَ
تداعِبُني الياسمينةُ:
لا تَبْتَعِدْ
وامشِ في أَثَري
فَتَغارُ الحديقةُ:
لا تقتربْ
من دَمِ الليل في قَمَري
في دِمَشْقَ
أُسامِرُ حُلْمي الخفيفَ
على زَهْرة اللوز يضحَكُ:
كُنْ واقعياً
لأُزهرَ ثانيةً
حول ماءِ اسمها
وكُنْ واقعيّاً
لأعبر في حُلْمها!
في دِمَشْقَ
أُعرِّفُ نفسي
على نفسها:
هنا تحت عَيْنَيْ لوزيّتَين

نطيرُ معاً تَوْأَمَين
ونرجعُ ماضِينَا المشترك
في دِمَشْقَ
يرقُّ الكلامُ
فأسمع صَوْتَ دمٍ
في عُرُوق الرخام:
اُخْتَطِفْني مِنَ أُبني
تقولُ السجينةُ لي
أَو تحجّرْ معي!
في دِمَشْقَ:
أَعدُّ ضُلُوعي
وأُرْجِعُ قلبي إلى خَبَبِهْ
لعلّ التي أَدْخَلَتْني
إلى ظِلّها
قَتَلَتْني
ولم أَنْتَبِهْ
في دِمَشْقَ
تُعيدُ الغريبةُ هَوْدَجَها
إلى القافِلَةْ:
لن أَعودَ إلى خيمتي
لن أُعلّقَ جيتارتي
بَعْدَ هذا المساءِ
على تينة العائلةْ
في دِمَشْقَ
تَشِفُّ القصائدُ
لا هِيَ حِسّيَّةٌ
ولا هِيَ ذِهْنِيَّةٌ
إنّها ما يقولُ الصدى
للصدى
في دِمَشْقَ
تجفُّ السحابةُ عصراً

فتحفُرُ بئراً
لصيف المحبّينَ في سَفْح قاسْيُون
والنايُ يُكْملُ عاداته
في الحنين إلى ما هُوَ الآن فيه
ويبكي سدى
في دِمَشْقَ
أُدوّنُ في دفْتَرِ امرأةٍ:
كُلُّ ما فيكِ
من نَرْجسٍ
يَشْتَهيك
ولا سُورَ حَوْلَكِ يحميكِ
مِنْ ليل فِتْنَتِكِ الزائدةْ
في دِمَشْقَ
أَرى كيف ينقُصُ ليلُ دِمَشْقَ
رويداً رويداً
وكيف تزيدُ إلهاتُنا
واحدةْ!
في دِمَشْقَ
يغني المسافر في سرّه:
لا أَعودُ من الشام
حياً
ولا ميتاً
بل سحاباً
يخفّفُ عبءَ الفراشة
عن روحِيَ الشاردةْ

كزهر اللوز

لوصفِ زهرِ اللوز، لا موسوعةُ
الأزهارِ
تسعفني، ولا القاموسُ يسعفني...
سيخطفني الكلامُ إلى أحابيلِ
البلاغةِ
والبلاغةُ تجرحُ المعنى وتمدحُ
جرحه،
كمذكّرٍ يملي على الأنثى مشاعرها

فكيفَ يشعُّ زهرُ اللوز في لغتي أنا
وأنا الصدى؟
وهو الشفيفُ كضحكةٍ مائيةٍ نبتتْ
على الأغصانِ من خفرِ النّدى...
وهو الخفيفُ كجملةٍ بيضاءَ
موسيقيةٍ...
وهو الضعيفُ كلمحِ خاطرةٍ
تطلُّ على أصابعنا

ونكتبُها سُدى
وهو الكثيفُ كبيتِ شعرٍ لا يدوّن
بالحروف
لوصفِ زهرِ اللوز تلزمني زياراتٌ
إلى
اللّاوعي ترشدني إلى أسماءٍ عاطفةٍ
معلقةٍ على الجدران. ما اسمه؟
ما اسمُ هذا الشيء في شعريةِ

اللّاشيء؟
يلزمني اختراقُ الجاذبيةِ والكلام،
لكي أحسّ بخفةِ الكلماتْ حين
تصير
طيفاً هامساً فأكونها وتكونني
شفافةً بيضاء
لا وطنٌ ولا منفى هي الكلمات،
بل ولعُ البياضِ بوصفِ زهرِ اللّوز

لا ثلجٌ ولا قطنٌ فما هو في
تعاليه على الألوان والكلمات
لو نجحَ المؤلف في كتابةِ مقطعٍ
في وصفِ زهرِ اللوز، لانحسر
الضباب
عن التلال، وقالَ شعبٌ كاملٌ:
هذا هوَ
هذا كلامُ نشيدنا الوطني!

نقش سوري

نديم محمد.. شاعر الآلام

واحد من أهم الشعراء العرب في القرن العشرين تمرد على كلّ شيء لم يقبل العادات والتقاليد ولا الشعر اليائس اليابس نديم محمد الشاعر الاصيل ابن سورية الشاعر المجدد والحقيقي نقف اليوم عند محطّات في حياته كما نشرتها المواقع الكثيرة، ومنها اكتشف سورية ومن إعداد أميرة سلامة نعيد هذه المحطّات الرائعة ونحن نقلناها بدورنا من مجلة الأزمنة التي قدّمتها ضمن باب نجم الأُسبوع

حصان لم يعرف إلا الصّهيل والجموح، مسحت سنابكه وعورة الجبال ونامت مكشوفة وسط السّفوح، يركض مع الضّوء، وبصهيل آلامه للوجود يبوح ويبوح.

هو الشّاعر نديم محمد، الذي جازف بالمال والزّعامة، ليربح شمساً من شعر، شمساً لم تغضّ الطّرف عن الجمال والآلام، ولم تبتلع لسانها، بل كانت متأهّبة دوماً للشهوة والحبّ ولإتمام ما نقص من أعمالها:

«إلى حوّاء ...خطيئتي
أنا ألبستُك الحياة
وأسكنتُكِ دار الخلود
يا حوّائي»

هذه هي لغة نديم محمد، مرآته، ومعشوقته الأولى التي أدخلتْه في كهف المحارم، وهذا هو صوتها الذي نقل للآذان حقيقتها، فلو لم يشته نديم محمد هذه اللغة ويمارس معها الحبّ، لما استطاع شعره أن يسحرنا.

حياته

ولد الشاعر نديم محمد، يوم الخميس في الخامس والعشرين من شعبان سنة ١٣٢٧هجرية (١٩٠٨م)، في قرية عين شقاق، والتي تبعد عن مدينة اللاذقية أربعين كيلومتراً تقريباً إلى الجنوب الشرقي.

أمّه مزنة بنت عباس بنيات، وكان والدها من أوجه أهل قضائه، وأوسعهم رزقاً، وعُرفت بالإنسانية والرّقي.

كان صوت والده محمد حسن، المعروف بالجود ورجاحة العقل، ومعاملته الطيبة للجميع، يهدر زاجراً أبناءه: «إن نديم يغرف من قلبه، ويعطي من دمه، اتركوه»، وقد ترك هذا القول أكبر الأثر في نفسه.

لم ينس نديم محمد الزعقة العاصفة التي أطلقها المشايخ في وجه أبيه، عشية سفره إلى مونبيليه:

«كُفرٌ هو تعلّم اللسان الغريب، نجَس هو طعام الغرباء، ابنك «خاس» (أي ضاع)».

أدى هذا الهجوم الهائل على الشاب الشاعر، إلى كبته، وتهافته على الخمرة، ظناً منه أنها ستحل مشاكله، إضافة إلى لسعات الحبّ التي عانى منها المرارة، فانطلقت من شعوره الحبيس الذبيح، قصائد راعفة بالدخان والشرر، سوداء، حمراء في جملتها: «آلام»، حيث سجل الشاعر كلّ مكنوناته التي أخفاها عن أنوف المتطفلين والفضوليين.

نديم محمد في شبابه

كان نديم واسع الجبين، له أنف أشمّ، يسير شامخاً كنسر، لا يطيق الأحاديث الجدّية، سريع البديهة وسليط اللسان، لا يفكّر قبل أن يطرح آراءه، فهي بالنسبة إليه قول فصل لا جدال فيه. تجرأ الطفل نديم، منذ أن بلغ الرابعة عشرة من عمره، على استخدام أفحش الصّفات وأقذعها لأتفه الأسباب، فشكّل شعر الهجاء، عنده أكثر من نصف شعره، رغم أن المجلدات الخمسة التي صدرت له لا تضمّ من الهجاء سوى ديوانه «فرعون» المخصص لهجاء جمال عبد الناصر.

جذبتْه العصافير فحلّق معها، ونادته الأنهار فسبح في أعماقها، تحدّى إباء الأشجار فتسلّقها، وطارد الأفاعي مسيطراً عليها، حتى أنه أطلق على الحيوانات أسماء خاصة، يناديها بها حين يريد، ويزجرها فتلبّيه مبتعدة عنه.

أصغى نديم محمد الطفل بصمت إلى قصص وحكايا الضيوف عند كلّ مساء. وقطع المسافات راكضاً، متوغّلاً في الجبال والوديان والحراج. تعارك مع الصّبْية ولم يُغلب،

وقادهم في ألعابهم، وسبقهم في القراءة.

تعلم نديم محمد، على يد شيخ الكتاب، وأُرسل بعد ذلك إلى مدرسة العنّازة، فحفظ فيها عن ظهر قلب مضمون الحلقتين الأولى والثانية من سلسلة «قواعد اللغة» للشرتوني، ثم انتقل إلى مدرسة التجهيز (frere) - أي الأخوة - في اللاذقية سنة ١٩٢١، وانتقل سنة ١٩٢٢ إلى جبلة، ثم عاد إلى قريته عين شقاق.

حاز الشهادة الابتدائية سنة ١٩٢٥، وفي سنة ١٩٢٦ ضمّته مدارس «اللاييك» في بيروت، وكتب يحيّي شهداء السادس من أيار، ومهاجماً فرنسا التي كانت تحتل لبنان وسورية متباهياً بأنه لم يمدّ للمستعمر سوى السيف، ويد الغضب والرفض والمقاومة، كما مجّد شعره الحرية بعد جلاء الاستعمار.

سافر بعدها إلى مونبيلييه في فرنسا، حيث أتمّ الدراسة الثانوية، وحصل على إجازة الآداب الفرنسية. ثم درس الحقوق في سويسرا، وفي برن، ولكن أنذرته السلطات السويسرية بمغادرة أراضيها، إثر تلقّيها اتصالاً من القنصل الفرنسي، ثم أعيد مرغماً إلى سورية في حزيران سنة ١٩٣٠.

الوظائف التي كان ما يلبث أن يشغلها حتى يستقيل منها.

فتحت الوظيفة عيني الشاعر على الهوة التي يمكن أن يتردّى فيها الآدميون، وهم خضّع خنّع، يجرهم إليها، ويكبكبهم تحت ظلماتها وسواس الشره والحسد، وشيطان الغيرة والانتقام.

وجاءت وفاة والده، مثل زلزال قصف الأرض من تحته، فتخلّعت منه أعصابه، وانفجرَت بعده بسنين، أكبر حادثة مخربة مدمّرة في حياة الشاعر، حين توفّى أصغر أخوته بمنجل السياسة، وعلى يد أربابها عام ١٩٤٨ وهو طالب، ينتظر النتيجة لنيل إجازة الحقوق، فسافر إلى بحنّس، حيث عانى من العزلة، والقبح النفسي، فانهمر شعره دخاناً وعطراً على دنيا الواقع ليسهم في معارك الحياة في مختلف ميادينها، وانسفكت حياته ظلاماً وفجراً، وصار عنده الملل والمرح، صنوان، والألم والغبطة في نفسه توأمان.

١. عام ١٩٣٣، عُيّن بوظيفة كاتب، واستقال.
٢. عيّن أميناً لسر المحافظ إحسان الجابري.
٣. مراقباً في مؤسسة الميرة.
٤. مديراً لناحية حزّور.
٥. مديراً لناحية الشيخ بدر عام ١٩٤٨.
٦. رئيساً للمركز الثقافي في الحفّة.

الشاعر نديم محمد

وعن شعر هذه الأيام كان الشاعر نديم محمد يرى أن الشعر في سورية، «خَلق أدركه الانحلال، وهو يسير في أعقاب الأخلاق المنحلّة، وأنه لتطغى عليه أمواج من السياسة والتجارة، فيغرق أو يكاد، بحجة الانعتاق من المحافظة والركود، والتبرّؤ من الخيالية والرجعية، وبذريعة الانصراف عن الزخرف التافه، أو اجترار الترف المنعزل، وإعلاء صرح التقدّمية، وليس إلاّ على أساس الخفة والتحرر من قواعد اللغة، وشروط الوزن والقافية وتلزيم الفكر آراء واتجاهات معينة، واستخدامه استخداماً مادياً جافاً مجرداً من جماليات البيان والرجاحة والعاطفة، بمعنى أن لا يكون شعراً، ولا يجوز أن يكون شعراً بجلاء ومفهوم هذه الكلمة».

نديم محمد، شاعر الألم والحزن والانكسار، كما هو شاعر النهوض و التمرد والعنفوان، ومن الملامح البارزة في شعر نديم محمد على تعدد أغراضه، ارتباطه بالواقع الحياتي الذي عاشه بكّل أبعاده الإنسانية والاجتماعية والوطنية والقومية، فجاء أشد لصوقاً بمشاعره وأحاسيسه وانفعالاته، بحيث أنه رسم صورة متكاملة الملامح لمعاناته التي كانت مثقلة بالانكسارات والقلق النفسي من واقعه المضطرب، وأبت عليه رهافة الحس وصفاء السريرة والمشاعر الإنسانية السامية إلاّ أن يواصل رحلة العنفوان والكبرياء عبر الفسحة الزمنية من العمر التي منحها الله له، فهو ليس عالماً شعرياً واحداً بل مجموعة عوالم، وهو عصر متميز من عصور الشعر العربي الخالد ومن شكواه من صحبه ومجتمعه واعتزازه بنفسه وبشعره،

١٩٤٨. ١٩٥٦، حتى هزيمة ١٩٦٧ ثم حرب لبنان نديم ليرحل إلى قريته، وفي عام ١٩٩٣ أهدى الرئيس حافظ الأسد قصيدة «فيض الخاطر» قبل وفاته بأقل من عام. من أعماله

. «آلام» بأجزائه الثلاثة، ١٩٥٣، وأعيدت طباعته عام ١٩٨٥، عن دار الحقائق، بيروت.
. «فراشات وعناكب»، دار المعجم العربي، الطبعة الثانية عن دار الحقائق، ١٩٨٥.
. «آفاق»، ١٩٤٩. ١٩٨٥، المطبعة الأهلية بحماة، ١٩٥٨.
. «فرعون»، منشورات دار الثقافة في دمشق، ١٩٦٠.
. «ألوان»، ١٩٦٥، عن مكتبة ومطبعة الزهراء.
. «رفاق يمضون»، منشورات أطلس.
. «الأعمال الشعرية الكاملة»: ويتضمن الدواوين: «من وحي الوحدة»، «أشواك ناعمة»، «زهور وشتاء»، «صرخة ثائر»، «شاعر وصومعة»، «صمت الرّعود»، وصدرت الطبعة الأولى لهذا المجلد عن دار الحقائق في بيروت، ١٩٨٨.
. «فروع من أصول»، دار مجلة الثقافة في دمشق، ١٩٩٣.

- المجلد الرابع والخامس، ١٩٩٨، ويتضمن الدواوين: «رفاق يمضون»، «من حصاد الحرب»، «من وحي الوحدة»، «فرعون»، «صمت الرعود»، «زهور وشتاء»، «أشواك ناعمة»، «شاعر وصومعة»، «صرخة ثائر»، «وصف أحوال».

من تراثه غير المنشور

. «شلحاويات»: قصائد نضالية ضد الاستعمار الفرنسي.
. «إخوانيات»: أبيات للأصدقاء، ١٩٣١.
. «استظهار الماضي»: مذكرات عما جرى للشاعر خلال نصف قرن مؤيداً بوثائق.
. «أعشاب مروج»: ديوان نظمت قصائده ما بين ١٩٣٨. ١٩٤٨، تتكلم عن «معركة في البحر» وتصف حالة الحرب العالمية الثانية.
. «براعم وربيع»، ١٩٢١ و١٩٣٤، «قصة واقعية وضعها الشاعر بالفرنسية ونقلها إلى العربية».
. «تيمور»: ١٩٦٤. ١٩٦٦ تتناول حياة الرفاه في دمشق، والحياة السياسية.
. «حول الشعر الجديد»: كتب بلغة نثرية.
. «خيال الماضي»: ١٩٢١ «بيتان تحت عنوان الجمال»، و١٩٥٥ «رثاء الشهيد عدنان المالكي».

قلت أحلُم..

علم عبد اللطيف

قال..ليس في الخرائب..تنطمر الأحلامُ مع أصحابها الموتى. وتموت معهم.
قلتُ أعشق
قال..الخرائب مأوى مختلسي الحب. ولستَ منهم
قلت..أكتبُ شعراً..
قال..شعرُ الخرائب يشبهها..لن يقرأه أبناءُ الحياة..
قلت..أزرع أرضَ الخربة حنطةً..
قال..سيكون فيها طعم عظام الأموات المرّ..
قلت..أرمّمها..
قال..الخرائب لا تصلح للترميم..تتوجب إزالتها وإشادة بناء جديد مكانها..
قلت نعم..وافقتَ أخيراً على اقتراح مني..
قال..مهلاً..لن تكون أنتَ الباني..العمر لا يمهلنا لنبني من جديد..هذا للشباب..
اسمع ياصديقي..لكل منا دورةٌ في الحياة..تكرارها أو إعادتها هو استخفاف بالحياة ذاتها..كمَن يتزوج ثانيةً في خريف عمره..
الحياة تعرف كيف تُفشِل هكذا حماقات..
قلت..خذ عصاي هذه وارحل متوكئاً عليها..
قال..لن أتركك تحاول النهوض فلا تستطيع..وتموت هنا.
لا معنى لبقاء أحدنا حياً بعد موت أقرانه..
(ولم أُنْكِر ملامَ القبر لما
حوى بعض اللدات وما حواني
وعاتبتُ الردى لما استجابوا
لداعية الرحيل وما دعاني.)

نهاية..

ميساء جرعا

قطبان متشابهان..إلى معبد الحب
بكل شوق ينحدران...
ظلان متقاربان..وأي وقت لازوردي
للجمع بينهما يصلان...
خطان متوازيان ..قد كسرا كل قيد
الوقت ..سيلتقيان...
خطوتان متباعدتان ..ولمس الكف
بالكف مازالا يحاولان..
دمعتان تحاولان ..أن ترفقا
بمحجرها ..وعبثا تفشلان...
وقلبان اثنان ...توضأا يوماً على
طاولة الحب يتفاوضان..
يتنازعان بغضب يوماً..وأياماً
بهدئة ذل يوقنان...
أن التوازي أعظم غلظة من قبلة التشابه..فهما العزيزان..
فيتنافران على زعم أن آلهة الحب
ضدهما وهما ملحدان...
عدوان مشتركان يغدوان..لكل ورد
الأمس ينتزعان...
أشلاء زنبق يفتتان ..وزكي العطر
يدهسان...
وقطاران يمضيان ..وخطوتان
متباعدتان عبر النهاية يمضيان.

في غمرة الفرح

صالح السودة

استقبلت أم أديب زوجها بابتسامة عريضة، وهي تقول: الحمد لله على السلامة الحمد لله على السلامة..، بعد أن أطلقت من بين شفتيها "زغرودةً" خجولة باستهزاء (للي للي ليش) كأنها صوت صغير الديكة يتعلم الصياح، والرجل يقول: ابتعدي ابتعدي من أمامي يا امرأة ألم تري أني منهك من التعب! وسلك طريقه إلى المطبخ فأنزل الجرة من على كتفه، ثم أخذ نفساً عميقاً ونفثه بقوة شديدة حتى تراءت له هموم عشر سنوات الحرب تتدحرج أمام عينيه فقال: احترسوا على كل نقطة في داخلها وإياكم أن تهدر بقصد أو من دون قصد! لأننا قضينا ستين يوماً ننتظر قدومها، ولا أدري متى يأتي دورنا في المرحلة القادمة.. ربما شهر أو شهران..! الله أعلم؟
لم تكن الفرحة التي شعرت بها أم أديب أقل من الفرحة التي غمرت قلب زوجها بعد حصوله على "جرة الغاز"، حيث جلس يسرد للعائلة قصة صديقه الذي حصل على الجرة منذ أيام مضت، إذ عمت الفرحة أرجاء البيت حتى ظن الجيران أنهم يحتفلون بعيد ميلاد طفلهم الصغير، فضحك الرجل وضحك الجميع، بعد ذلك عادت الذاكرة بأبي أديب إلى الماضي الجميل الذي عاشه مع أهله وإخوته في مرحلة طفولته البريئة، فتذكر والدته كيف كانت تصنع الطعام وخبز التنور على نار الحطب، وهو يشاهدها خلف "الموقد" الذي صنعته ربة البيت في جانب أحد أركان الدار الواسعة لذاك الغرض، وقال: كان والدي في تلك الأيام لا ينتظر رسائل البطاقة الذكية التي أتعبت قلوب الناس بالانتظار لإحضار الغاز أوالخبز..، ولا يأبه لذلك أبداً في ذاك الزمان حيث كان يجلب الحطب من الأشجار المنتهية الصلاحية في البستان، و يستخدمها بدلاً عن "الغاز أو الكاز" إذا لم يتوفر، فكان لا يعاني ما أعانيه أنا في عصرنا الحالي الصعب الذي خلفته الحروب اللعينة على مدار عشر سنوات متتاليات أنهكت البلاد والعباد بالقتل والدمار والخراب..، وكان آخرها الحصار الاقتصادي الجائر الذي لا يمتّ للإنسانية بأي صلة حتى وصلت الحال بالناس إلى ما وصلت إليه الآن.
نعم لقد مر على بلادنا في ثمانينيات القرن التاسع عشر حصار اقتصادي، لكن الناس كانوا معتادين على الحياة الطبيعية البسيطة التي لاتكاليف مادية بين المجتمع، وقد كان والدي يعمل موظفاً في إحدى المؤسسات الحكومية كما غيره من أهل القرية، إضافة إلى ذلك كان فلاحاً يزرع الخضروات و بعض الحبوب، ولديه أشجار مثمرة متعددة الأصناف، و في مواسم الحصاد يفيض من تلك المحاصيل الكثير عن حاجات البيت، حينها يقوم والدي بتوزيع ما طاب منها على أصدقائه وجيرانه وأقاربه، بعد أن يملأها في سلة من القصب صنعت بيد ماهرة أتقنت الصنعة عن حرفة حتى أصبحت بشكل هندسي جميل، ويرسلها معي أو مع أحد إخوتي، فكان هؤلاء الذين تصلهم أعطيات والدي لا يتوارون أبداً عن ملء السلة بما أفاض الله عليهم من الخيرات.
هكذا كانت تجمع بينهم المحبة والألفة والطيبة، واحترام كبير السن كان من أولويات الناس عند المجتمع حيث سماع النصح والرأي السديد منهم، هذا ما افتقدناه الآن في بلادنا العربية ضمن العصر الحالي! عصر السرعة والتطور والتكنولوجيا، لا بل عصر الديمقراطية القادمة من الغرب!
جاء صوت أم أديب مدوياً داخل البيت يخترق سمع زوجها كرصاصة أطلقها جندي "شجاع" على هدفه في المعركة تقول: كفاك من هذا الكلام الفارغ! أتريد أن تعود بنا إلى الماضي والناس تصعد إلى سطح القمر في هذا العصر؟ قم واجلب لنا من البقالة شيئاً أصنع لكم به طعاماً، ولا تنسَ المئة غرام "لحم" من عند القصاب؟ قطب أبو أديب وجهه وقال: "هوني عليك يا امرأة هوني عليك! ألم تعلمي أننا ما زلنا في الثلث الأول من الشهر، وقد صرفتُ من مرتبي الذي أتقاضاه في الوظيفة أكثر من النصف، ثمن الأغراض التي ابتعتها من المدينة! إضافة إلى ما استهلكتم من عند جارنا السمان"، وبين أخذ ورد يتبعه شيء من الصراخ مثلته أم أديب، خرج الرجل من البيت محنيّ الرأس كغصن على شجرة أثقلته الهموم، ليرتسم الحزن على محياه، والشرود يُهيمن على أفكاره حيث أخذ يكلم نفسه...